الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشّعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون-تيارت-

كلية الآداب واللّغات

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في تخصّص "دراسات نقدية"

موسومة بـ :

أثر الأسواق العربية في ازدهار الشّعر

- سوق عكاظ أنموذجا -

-إعداد الطّالبتين:

-زاهية عسكري.

-نجاة زايدة.

- إشراف الدّكتور:

- إبراهيم بوشريحة.

أعضاء لجنة المناقشة:

د.صلاح الدّين منقور:.....رئيسا

د. محمّد داود:.....مناقشا

السنة الجامعية: 2021م/ 2022م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشّعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون-تيارت-

كلية الآداب واللّغات

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في تخصّص " دراسات نقدية "

موسومة بـ:

أثر الأسواق العربية في ازدهار الشّعر

- سوق عكاظ أنموذجا -

-إعداد الطّالبتين:

-زاهية عسكري.

-نجاة زايدة.

- إشراف الدّكتور:

- إبراهيم بوشريحة.

السنة الجامعية: 2021م/ 2022م

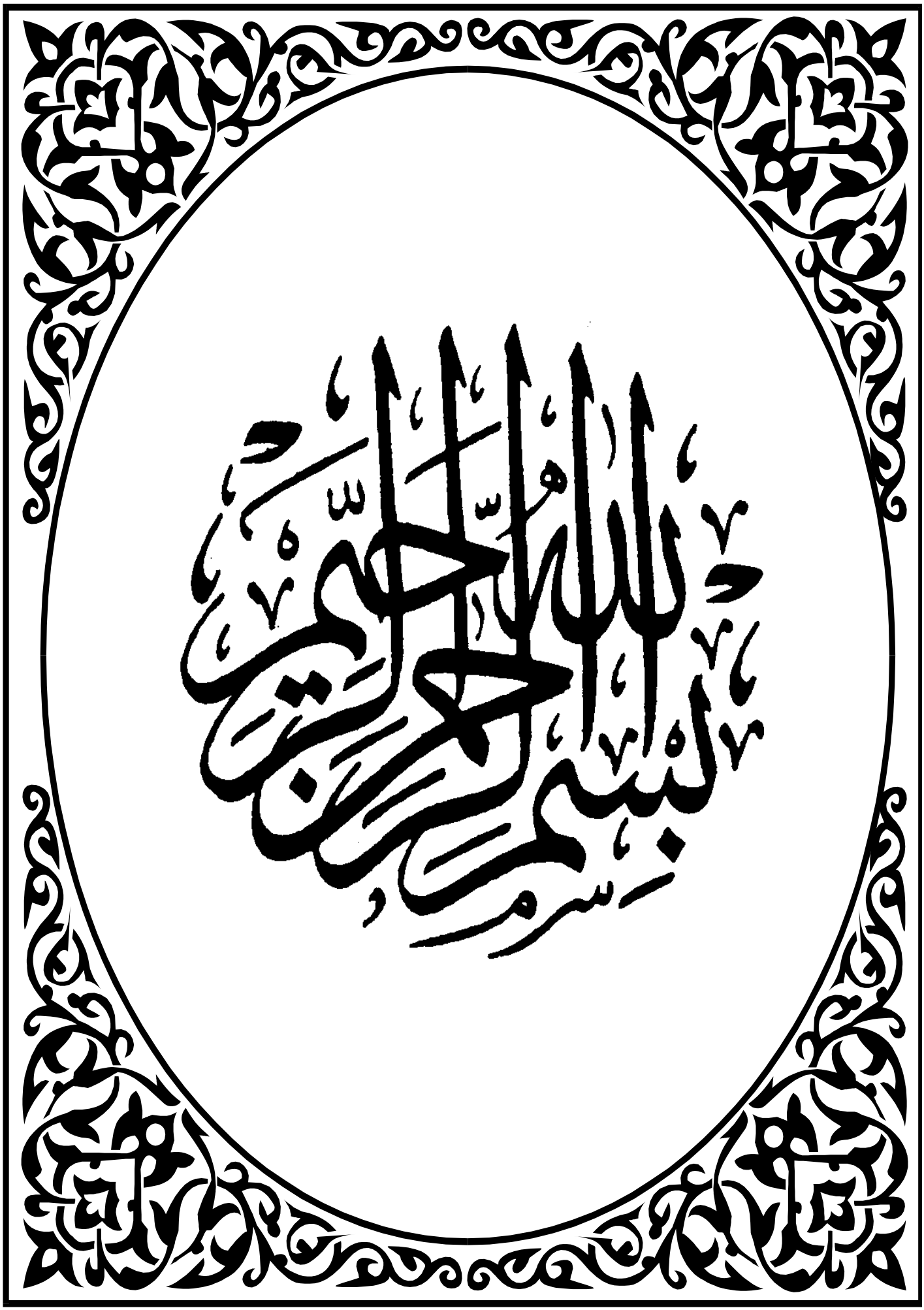
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير

قال تعالى: "رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ" النمل 19

الحمد لله رب العالمين و أشكره تعالى على نعمه وحسن عونه، وتوفيقه لنا على إتمام هذا العمل،

وبعد شكره وحمده، نتوجه بالشكر والتقدير والعرفان لأستاذنا ومشرفنا و قدوتنا ومثلنا الأعلى

"بوشريحة إبراهيم" على قبوله الإشراف على مذكرتنا وعلى حلمه ملاحظاته وتوجيهاته التي

كانت نورا نسير على ضوئه.

ولجميع أساتذتنا بجامعة تيارت –قسم اللغة والأدب العربي- نزف شكرنا وعرفاننا، فقد كان لنا

الحظ في الاطلاع على ثمرة فكرهم و أريج تجاربهم.

والحمد لله من قبل ومن بعد.

إهداء

إلى سبب وجودي في الحياة، ومصدر فخري و اعتزازي والدي العزيزين حفظهما الله وأطال عمرهما.

إلى توأم روحي ورفيقة دربي إلى من رافقتني منذ أن حملنا حقائب صغيرة ومعها سرت خطوة وما تزال ترافقني حتى الآن توأمي "فاطمة الزهراء" إلى صديقاتي الغاليات "زاهية، صابرينة، فاطمة، أحلام، نوال"

إلى إخوتي وزوجات أخي

إلى كل من لم تسعهم مساحة هذه الورقة فلهم المكانة في القلوب.

نجاة

إهداء

أهدي هذا العمل والذي هو ثمرة جهد خمس سنوات إلى أغلى إنسانين على قلبي، إلى سر وجودي في هذه الحياة و إلى أكبر داعم لي فيها و إلى هدية الله لي، إلى فخري وكل حياتي إلى أغلى شخصين لن يكررهما الزمن لي إلى والدي إلى أبي الحبيب و أمي الغالية شفاها الله وحفظهما لي اشكرهم على ما قدموه لي حتى الآن، ولا أنسى أخي الذي كان سندا لي في هذا العمل وعائلتي الكريمة على كل ما قدموه لي، خلال مساري الدراسي و إلى صديقاتي وزميلاتي بالكلية كل باسمها

إلى كل ما لم تسعهم ورقتي ووسعهم بالي

فإلى كل هؤلاء جزيل الشكر والتقدير.

زهية

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين سيدنا مُحَمَّد بن عبد الله الصادق الأمين، القائل: "إن من البيان سحرا، وإن من الشعر لحكمة" وصل اللهم وبارك على أله وأصحابه ومن سار على دربه، واستن بسنته، وعمل لإعزاز دينه وتوحيد أمته إلى يوم الدين.

فيعد الشعر الجاهلي خلفية الأمة العربية، وبطاقة هويتها ومصدرا لثقافتها ومعلما لحضارتها، فإن ما تميز به هذا العصر أقل ما يقال عنه عصر معجزات من الناحية الأدبية، فكيف لا وهم القم الذين تحداهم الله تعالى في كتابه المبين دون سائر عباده، فهم أفصح الأقوام فأشعرهم، ودليل ذلك قصائدهم التي تدرس لغاية الآن واعتبروها مراجعا وخصصت لها الكتب والمجلدات والمجلات والدواوين، وهم من وضعوا المعاجم بغية فهم كلماتهم وأقوالهم، وكل هذا الزحم من الأشعار والقصائد أنشأت له أسواق أقل ما يقال عنها أنَّها أسواق أدبية أكثر ماهي تجارية، فكما تُعرضُ تجارتهم يُعرض شعرهم وأقوالهم فكانت هذه الأسواق بمثابة إذاعة للعربي آنذاك، ففيها كان التباري بما جادت ألسنتهم، فيذاع الشعر الفصيح والمنقح بين القبائل ومن أبرز الأسواق التي لقيت شهرة كبيرة هي سوق عكاظ قد نالت حصة الأسد من حيث الأهمية فالدور، فعكاظ حكاية طويلة، فهذه الأسواق كان لها دورها مهمًّا في حياة سكان الجزيرة آنذاك.

واختبار هذا العنوان الموسوم ب "أثر الأسواق العربية في ازدهار الشعر –سوق عكاظ أنموذجا–" موضوعا للدراسة نرجعه إلى دوافع وهي:

- دوافع شخصية: وهي ميول ورغبة منا حول معرفة هاته الأسواق وعلاقتها بالشعر.
- دوافع موضوعية: وهي أهمية الموضوع إذ مثل منعرجا حاسما في الجانب الأدبي.

وقد وجدنا مجموعة من الدراسات التي اشتركت في نقاط مع بحثنا هذا ومنها سوق عكاظ ومواسم الحج لعرفان مُحَمَّد حمور وموقع عكاظ لعبد الوهاب عزام وكذا أسواق العرب في الجاهلية والإسلام.

حيث طرحنا الإشكالية التالية: **كيف أسهمت هاته الأسواق في الحركة الشعرية؟ وما الصلة بينهما؟**

• • •

ولمناقشة هذه الإشكالية صممنا بحثنا وفق خطة تطرقنا فيها إلى مدخل وفصلين نظري وتطبيقي، وتوج هذا البحث بخاتمة رصدنا فيها أهم النتائج المتحصل علبيها، ثم قائمة المصادر والمراجع وفهرس.

حيث تناولنا في المدخل "مفهوم الأسواق"، أما الفصل الأول "الأسواق العربية نشأتها أنواعها وأثرها" والفصل الثاني كفصل تطبيقي بعنوان "دراسة سوق عكاظ" تطرقنا فيه إلى اشتقاق اسمه، موقعه وأثره.

معتمدين في هذا الخصوص على المنهج التاريخي إلى جانب المنهج الوصفي التحليلي، مسندين على جملة من المراجع التي أرخت لتاريخ الأدب العربي أهمها:

- أسواق العرب في الجاهلية والإسلام- سعيد الأفغاني.
- تاريخ آداب العرب – مصطفى صادق الرافعي.
- صفة جزيرة العرب – يعقوب الهمذاني.
- الأزمة والأمكنة – الأصفهاني – الجزء 1 و 2.

ولا يخفى على أي باحث أن تواجهه عراقيل وصعوبات في دراسته وما واجهنا نحن هو توفر المادة العلمية في هذا المجال في المجال الأدبي فقط وانعدامه في المجال النقدي هذا مالم يثري دراستنا حول الدراسة.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بهذا العمل المتواضع والذي هو ثمرة جهد بلا أكل ولا ملل تحت تصرفكم، ونرجو من الله السداد والتوفيق والله المستعان.

-زاهية عسكري.
-نجاة زايدة.

يوم: الخميس 29 ذو القعدة 1442هـ
الموافق لـ 11 جويلية 2021م

• • •

مدخل:

مفهوم الأسواق

مدخل:

يُعتبر الشّعر ديوان العرب وسجلّ تاريخهم ويومياتهم، فالأدب من الفنون الجميلة إذ أنّه يؤثّر في نفوسنا بما فيه من العاطفة، والفكر، والخيال والأسلوب. فالأدب كغيره من آداب الشّعوب مظهر للحياة الإنسانية، ومرآة لها، يرقى برُقِيّها، وينحطُّ بانحطاطها.

وعندما تألّق الشّعر كانت ظاهرة الأسواق العربية، فوجود الأسواق من متطلّبات الحضارة وديمومتها، وقد عرف العرب الأسواق كباقي كلّ الشّعوب فهو –السّوق–:" مكان يجتمع فيه أهل البلاد والقُرى في أوقات معيّنة يتبايعون ويتقايضون".[1]

أقيمت أسواق العرب القديمة في شبه الجزيرة العربية التي تميّزت بانتعاش التّجارة فيها نظرا لموقعها الاستراتيجي الممتاز، فقد كانت حلقة الوصل بين أهمّ الدّول التّجارية، أبرزها دولتا الفرس والروم، وكانت هذه الأسواق تُقام في مواسم محدّدة من كلّ عام، فهناك ما أقيم منها في منتصف شعبان، ومنها ما كان يُقام بشكل دائم خلال العام.

وقد ظهرت هذه الأسواق منذ العصر الجاهلي وقد امتدّت حتّى عصر الإسلام، ولم تقتصر هذه الأسواق على عرض البضائع التّجارية فحسب، وإنّما تعدّتها لتكون ميدانا للتّنافس الشّعري بين الشّعراء وفرصة لكلّ شاعر أن يُظهر قوّة بيانه وسلطان لسانه ويجعل لنفسه المكانة والمنزلة التي يستحق. فقد احتلّ الشّعر آنذاك أهمّية كبيرة عند العرب، وكانت هذه الأسواق بمثابة معارض كُبرى يَعرض فيها التُّجّار مختلف أنواع السّلع.

فكان العرب من كلّ الأرجاء يُقبلون فيتاجرون ويسمعون المواعظ والخطب ويتنافرون ويتفاخرون ويسعون في فكّ أسراهم عند القبائل الأخرى، كما كانوا يتناشدون الشّعر ويتحاكم مبدعوه إلى كبارهم كـ:"النّابغة الذُّبياني" الذي كانت تُضرب له قُبّة حمراء من أدمٍ فيحكم بين الشّعراء، وتكون كلمته هي

[1] جُرجي زيدان، تاريخ التّمدّن الإسلامي، مؤسّسة هنداوي، القاهرة، مصر، د.ت، د.ط، ج3، ص:41.

الفاصلة، وكانت القصائد التي تحوز إعجاب هؤلاء المحكِّمين تطير في أرجاء الجزيرة ويتناشدها العرب في كلّ مكان، كما كان للعرب حُكّام يرجعون إليهم في أمورهم الأخرى ويتحاكمون أمامهم في منافراتهم ومواريثهم ومياههم ودمائهم، لأنّه لم يكن لهم دين يرجعون إلى شرائعه ويحتكمون إليه، فكان يحكم أهل الشّرف والصّدق والأمانة والرّئاسة والسّنّ والمجد والتّجربة، ومنهم: أكتم بن صيفي وحاجب بن زُرارة والأقرع بن حابس، وعامر بن الظراب وعبد المطلب وأبو طالب وصفوان بن أميّة وغيرهم كثير.

وكان في نساء العرب أيّام الجاهلية حاكمات اشتهرن بإصابة الحُكم وفصل الخصومات وحسن الرّأي، منهنّ: صُعر بنت لقمان، وابنة الخسّ، وجمعة بنت حابس الإيادي، وخصيلة بنت عامر بن الطّرب العدواني وحذام بنت الرّيان. وكان امتناع النّاس في الأشهر الحُرم عن إيذاء بعضهم البعض يساعد إلى حدٍّ ما في الإقبال على هذه الأسواق.

فقد أسهمت هذه الأسواق بدرجة كبيرة في تطوير حياة العرب على اختلاف نواحيها سواء الاجتماعية منها أم الاقتصادية والثّقافية، إذ أنّها مثّلت أحد المظاهر الحضارية لدى العرب قديما، وساعدت على الانفتاح الثّقافي حيث كان يأتي إليها العرب من مختلف الأصقاع، فقد كانت حلقة وصل ونقطة التقاء الحضارات المختلفة، وفرصة كبيرة للأسرى في نيل حرّيتهم بفكِّ أسرهم عند القبائل.

تشير المصادر التّاريخية إلى أنّ بداية ظهور أسواق العرب يعود إلى العصر الجاهلي وهي أسواق عامّة ومكشوفة تُقام على وجه التّحديد في الطّرق التي تمرّ بها القوافل، وتطوّرت بعد ذلك حيث أصبحت تقع في نقاط التقاء المدن الكبرى، ومع حلول القرن العاشر ميلادي (10م) أُقيمت الأسواق في مركز المدن الكبرى وكانت تُقام على مدار السّنة بينما في القرُى كانت تُقام بشكل موسمي.

وحرصت الكثير من القبائل العربية على تنشيط حركة البيع من خلال عقد الصّلح مع القبائل المتنازعة، إذ أنّ الحروب عامل سلبي في ازدهار التّجارة في أسواق العرب.

ويُعدُّ السّوق مظهرا مهمّا من مظاهر الحضارة والرّقي في مجال الأفكار والإنجازات المختلفة التي تتحقّق للبشرية، فحين نتكلّم عن حضارة أيّ قوم من الأقوام فمعناه الإنجازات التي حقّقها أولئك القوم في زمن معيّن، وإبراز الدّرجة التي انتهى إليها أولئك القوم من درجات التّقدّم والتّطوّر.

وقد عَدّ "غوستاف لوبون" أسواق العرب مظهرا من مظاهر حضارتهم قائلا:" الأسواق من أهمّ أجزاء المدن، ففي كلّ مدينة مهمّة كثير من الأبنية التي يتألّف من مجموعها حيٌّ للتّجارة يُسمّى السّوق، وتحوي السّوق على أروقة ذات طول مغطّاة بألواح وعلى دكاكين مجتمعة على حسب أنواع السّلع التي تُباع في الرّواق ويُضاف نوع السّلع التي تباع فيه إلى كلمة السّوق فيتعيّن بذلك المسمّى. وتلك الأسواق مجموعات تزيد مساحة الواحد منها تسعة أمتار مربعة".[1] فكلّ سوق يُسمّى بحسب السّلع التي تُباع وتُشترى فيه.

وقد نمت الأسواق في التّاريخ القديم، كما ازدهرت بعض الأماكن بسبب شهرتها، بينما كان عدم وجود السّوق في بعض الأماكن يدلّ على تخلّفها، ولقد اعتاد العرب في جاهليتهم على إقامة الأسواق خلال شهور السّنة، وقد:" سبقهم الإغريق إلى أمثال هذه الأسواق في المجتمعات الأولمبية التي كانوا يقيمونها كلّ أربع سنوات للألعاب الرّياضية وكلّما حجّوا إلى الهيكل المشتري في أولمبية، وكانوا يحرّمون القتال على أنفسهم في أثنائها على نحو ما كان العرب في الأشهر الحرم، فلمّا استوثق لهم الأمر صارت هذه المجتمعات الأولمبية أندية تُقام لإنشاد الشّعر وتبادل الأفكار".[2]

فلم تكن الأسواق موجودة عند العرب فقط، بل وُجدت عند مختلف الأمم كاليونان فقد كانوا يجتمعون في أبنية تُقام خصّيصا للألعاب الأولمبية، وكان من بين المجتمعين هناك علماء وفلاسفة فيغتنمون

[1] عبد الله الصّائغ، الخطاب الإبداعي الجاهلي والصّورة الفنّية (القدامة وتحليل النّص)، المركز الثّقافي العربي، 1997م، بيروت، ط1، ص:147.

[2] مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، الدّار الدّولية للاستثمارات الثّقافية، القاهرة، د.ت، د.ط، ص:61.

فرصة وجودهم فيتباحثون ويتناظرون، ويتنافرون كما كان يفعل العرب في أسواقهم خلال العصر الجاهلي، وبهذا كان اليونانيون هم السّبّاقون بين الشّعوب في كثير من الفنون الأدبية والعلمية.

ومازالت هذه الأسواق تُقام حتّى في عصرنا هذا، في بعض الأماكن والمدن الكبرى ولم تكن موجودة في العصر الجاهلي فقط، من مثل :" القاهرة فلها أسواق تُعقد في بعض أيّام الأسبوع وتُعرف بها كسوق (السّبت) أو (السّبتية)، وسوق (الثّلاثاء) أو(الأربعاء)، فيجتمع إليها النّاس من الضّواحي للبيع والشّراء، ومن هذه الأسواق ما ينعقد مرّة واحدة في الشّهر، ومنها ما ينعقد مرّة في السّنة. فللهنود أيضا سوق يقيمونها في (هردوارد) على ضفاف (الكنج) ويقيمون في ذلك المكان حجّا دينيا يجتمع فيه النّاس وهو أكبر أسواق العالم".[1]

وأمثال هذه الأسواق في العالم كثيرة جدّا لا تُعدُّ ولا تُحصى، فكان الاجتماع فيها لغرض التّجارة والحجّ معا، فإذا اجتمع النّاس فيها احتاجوا إلى من يبيعهم الأطعمة والأشربة ومختلف الاحتياجات الضّرورية الأخرى فأُقيمت الأسواق لهذه الغاية. كذلك شأن العرب في سوق عكاظ وغيرها من أسواق العرب في العصر الجاهلي.

وقد عُرف العرب على أنّهم كانوا قوما يعيشون على الرّعي، وينتقلون بحثا عن الكلأ، فهم رعاة قبل كلّ شيء، وترك هذا المفهوم لقوام الحياة العربية في العصر الجاهلي ظلالا على تفسير كلّ شيء يمتُّ إلى الحياة العربية بسبب، وهو زعم خاطئ إذ أنّ الرّعي لم يكن العمل الوحيد والأساسي ولا المورد الأوّل لحياة سكان الجزيرة العربية قبل الإسلام، وإنّما كان عملا ضئيلا جدّا بالقياس إلى مصدر الثّروة العربية التي قامت عليها الحياة الجاهلية كلّها وحضارة العرب التي سبقت الإسلام، وذلك المورد هو التّجارة، فالتّجارة كانت وسيلة للحصول على حوائج الحياة، وهي –التّجارة– لا تتيسّر إلّا إذا ساد الأمن والسّلام وكان هذا مفقودا في الجزيرة العربية إلّا الأشهر الحرم وهي أربعة أشهر معلومات سمّوها الأشهر الحُرم وهي:

[1] جرجي زيدان، تاريخ التّمدّن الإسلامي، ص:41-42.

رجب، ذو القعدة، ذو الحجّة ومحرّم، وكان الحجّ في ثالثها وكانت هذه الأشهر حراما عندهم فلا يُستباح فيها دم ولا تنشب حروب، وهذه هي الأشهر التي كانت تُعقد فيها الأسواق العربية الشّهيرة كسوق عكاظ وذي المجاز وغيرها من الأسواق، فكانت جدُّ مقدّسة عندهم وحرام فلا أحد يظلم فيها الآخر ولا أحد يستبيح دم أخيه، فشاع الأمن فيها لأنّها تقع في أيّام حجّهم، لذا كانت أعمر الأسواق فهي بيوت عبادتهم وبيوت تجارتهم في آن واحد.

وقد تمتّعت أسواق العرب في العصر الجاهلي بنظام أمن فرضته وقد نظمّت طرق القوافل التّجارية ووضعت لها أنظمة صارمه لحمايتها وحراستها وضمان سلامة بلوغها إلى غايتها، وفرضت العقوبات لكل من تجرّأ على تهديد هذه الوسيلة الحيوية، فتبلورت عن هذا النشاط الاقتصادي قيمٌ عليا ومُثل سامية. فقد كان يقصد هذه الأسواق طالب الرّبح والشّراء، ويقصدها طالب الأمن والفداء، فكان الأمن يسيطر على جوِّ هذه الأسواق في العصر الجاهلي. وأنّ النّاس كانوا مطمئنين فيها على دمائهم وأرواحهم وتجارتهم.

ولم تتّفق المصادر العربية حول عدد الأسواق العربية في الجاهلية ولا في تحديد أزمنتها، فمن القدامى من يعدّها ثمانية، ومنهم من يعدّها عشرة ومنهم من يعدّها إحدى عشر حتّى أنّ بعضهم ليصل بعددها إلى خمسين سوقا. أمّا المتأخّرون من المؤلّفين فقد ذكر سعيد الأفغاني في كتابه "أسواق العرب في الجاهلية والإسلام" أنّ عددها عشرون سوقا واعتمد في ذلك على ثمانية من المؤرّخين و المؤلّفين القدامى مراعيا لترتيبها.

وقد اختلفوا حول تواريخ قيامها ذلك أنّ العرب لم يكونوا ملتزمين بيوم معيّنٍ في السّنة لإقامة السّوق ويومٍ محدّدٍ لتقويضها، "بل يتقدّم هذا اليوم في بعض السّنين ويتأخّر في بعض، وقد يُسرع أقوام

إلى السُوق قُبيل ميعادها وقد يتخلّف آخرون بعد انقضائها إذا لم تنته أعمالهم وقد تختلف العادة سنة عن سنة"[1] فمن هنا كان التفاوت.

أمّا الاتّفاق الأرجح حول عدد الأسواق كان عشرون سوقا أهمّها: سوق عكاظ وذو المجاز ومجنّة ودومة الجندل، وحضرموت وصنعاء وهجر وأذرعات وبُصرى، إلّا أنّ أعظمها وأشهرها سوق عكاظ الذي يُعدُّ:" مملكة الأسواق، وكانت تُقام من أوّل ذي القعدة إلى العشرين منه، وكان يجتمع فيه الأشراف والزُّعماء".[2] وكانت هذه الأسواق شاملة لا تكاد ترقى إليها الأسواق الكبرى في زماننا الحاضر، ولا المراكز التّجارية التي تُعقد في المدن الكبيرة حديثا.

فقد جُمعت في الأسواق نشاطات وفعاليات كثيرة، ففيها البيع والشّراء، وفيها الشّعر والخَطابة. فكم من أحداث وقعت في هذه السّوق فسُجِّلت على صفحات التّاريخ، وكم من مواقف تؤكّد زعامتها على جميع الأسواق التي قامت في الجزيرة العربية خلال العصر الجاهلي، كما أنّ أثر هذه الأسواق واضح في تراث العرب الشِّعري والنّثري، فقد مهّدت الطّريق قبل مجيء الإسلام لجمع اللّغة العربية وتوحيد اللّهجات التي كانت سائدة ومنتشرة بين القبائل العربية، ومن هذا كلّه نرى مدى أهمّيتها في حياة العرب.

[1] سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، مكتبة دار العروبة للنّشر والتّوزيع، 1999م، ط4، الكويت، ص:100.

[2] حنّا الفاخوري، تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ج1، ص:313-314. نقلا عن: الموجز في الأدب العربي وتاريخه، ج1، ص:60.

الفصل الأول:

الأسواق العربية نشأتها أنواعها وأثرها

المبحث الأوّل: مفهوم الأسواق العربية وعوامل نشأتها

تعدّدت المفاهيم حول الأسواق ولفظها ومعانيها، وتعدّدت الكتب في هذا المجال والقواميس والمعاجم.

أ-السّوق لغة:

سوق: سُقته سوقا، ورأيته يسوق سياقا؛ أي ينزع نزعا يعني الموت. والسّاق لكلّ شجر وإنسان وطائر، وامرأة سوقاء؛ أي تارة السّاقين ذات شعر، والأسوق: الطّويل عظْمِ السّاق، والمصدر السّوق. قال: قبٌّ من التِّعداد حُقُبٌ في سَوق.[1]

والسّاق: الذّكر من الحمام. والسّوق معروفة، والسّوق موضع البياعات. وسوق الحرب حومة القتال. والأساقة سير الرّكّاب للسّروج. والسُّوقة: أوساط النّاس، والجميع: السُّوَق.[2]

(سَوَقَ) السّين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدْوُ الشّيء، يُقال: ساقه يسوقه سوْقا، والسّيقة: ما استيق من الدّواب، ويُقال: سُقت امرأتي صَداقها وأسقته، والسّوق مشتقّة من هذا لما يُساق إليها من كلّ شيء والجمع أسواق. والسّاق للإنسان وغيره، والجمع سوق، إنّما سُمِّيت بذلك لأنّ الماشي ينساق إليها، ويُقال امرأة سوقاء ورجل أسوق.[3]

سوق: ساق النّعم فانساقت وقدِم عليك بنو فلان فأقدتهم خيلا وأسقتهم إبلا.

وهو من السّوقة والسُّوَق وهم غير الملوك، وتسوّق القوم: اتّخذوا سوقا، وسوق وأسوُق وسيقان خذال، ورجل أسوق طويل السّاق، وامرأة سوقاء وفيها سُوق، ودعت الحمامة ساق حرّ، ونجا العدو الوسيقة والسّيقة وهي الطّريدة التي يطردها من إبل الحيِّ.

---

[1] الرّجز في التّهذيب، واللّسان لرؤيته وهو في ديوانه، ص:106.

[2] أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السّامرائي، د.ت، د.ط، ج5، ص:190.

[3] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام محمّد هارون، دار العلوم سابقا، دار الفكر للطّباعة والنّشر، د.ت، د.ط، ج3، ص:118.

ومن المجاز: ساق الله إليه خيرا، وساق إليها المهر، وساقت الرّيح السّحاب، وأردت هذه الدّار بثمن فساقها الله إليك بلا ثمن، والمحتضر يسوق سياقا، وفلان في ساقة العسكر؛ أي في آخره، وهو جمع سائق كقادة في قائد فهو يساوقه ويقاوده، وتساوقت الإبل: تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق. وإليك يُساق الحديث، وهذا الكلام مساقُه إلى كذا. وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده، وضرب البخور بكمّه وقال: سوقا إلى فلان والمرء سيقه القدر: يسوقه إلى ما قدّر له لا يعدوه، وقطع ساق الشّجرة وقامت الحرب على ساقها، وكشف الأمر عن ساقه، وولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحد بعضهم في إثر بعض ليس بينهم جارية. ورأيته يكرُّ في سوق الحرب في حومة القتال وسطه.[1]

ب-السّوق اصطلاحا:

مكان يجتمع فيه النّاس للبيع والشّراء وهي الطّريقة التي بها اتّصال البائعين والمشترين، وفي التّاريخ القديم نمت الأسواق نموّا كبيرا بعد التّحوّل من المقايضة السّلعية إلى المبادلة النّقدية، وازدهرت بعض المدن قديما بسبب شهرة أسواقها، بينما كان عدم وجود السّوق في بعض المدن يدلّ على تخلّفها.

وكانت الأسواق قديما أشبه بالمعارض، وتُعقد بصفة دورية خلال العام أو في مواسم معروفة، وأشهر أسواق العرب قبل الإسلام "عكاظ"، وبعد هجرة النّبيّ ﷺ وصحبه ﷺ من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة أقام المسلمون فيها سوقا إثر تعنُّت تجّار اليهود وفرضهم رسوما على من يدخل أسواقهم.

وخضعت سوق المسلمين لرقابة على الموازين والمكاييل والسّلع للتّأكّد من عدم الغشّ للكمّ أو النّوع، ونهى رسول الله ﷺ عن فرض جزية رسم لدخول السّوق، كما حارب الاحتكار بشدّة لذلك تحدّدت الأسعار بقوى الطّلب والعرض التّنافسية الخالصة.[2]

[1] أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزّمخشري، أساس البلاغة، تح: محمّد باسم عيون السّود، دار الكتب العلمية، د.ت، د.ط، بيروت، لبنان، ج1، ص: 484-485.

[2] article, https://ammonnews.net

أولا: مفهوم الأسواق العربية

كان للعرب أسواق يقيمونها شهور السّنة وينتقلون من بعضها إلى بعض ويحضرها سائر العرب بما عندهم من المآثر والمفاخر[1]، منها: (دومة الجندل) فقد كانوا ينزلونها أوّل أيّام ربيع الأوّل يجتمعون في أسواقها للبيع والشّراء والأخذ والعطاء، وكانت المبايعة فيه بيع الحصاة وهو نوع من بيوع الجاهلية التي أبطلها الإسلام، وفُسِّر بأن يقول أحد المتبايعين للآخر ارْمِ هذه الحصاة فعلى أيِّ ثوبٍ وقعت فهو لك بدرهم، وفُسِّر بأن يبيعه من أرضه قدر ما انتهت إليه رمية الحصاة، وفُسِّر بأن يقبض على كفٍّ من حصى ويقول لي بعدد ما خرج في القبضة من الشّيء المبيع أبيعه سلعة، ويقبض على كفٍّ من الحصى ويقول لي بكلّ حصاة درهم.

وفُسِّر بأن يُمسك أحدهما حصاة في يده ويقول: أيّ وقت سقطت الحصاة وجب البيع، وفُسّر أن يتبايعا ويقول أحدهما إذا نبذت إليك الحصاة فقد وجب البيع، وفُسِّر بأن يعترض القطيع من الغنم فيأخذ حصاة ويقول: أيّ شاة أصابها فهي لك بكذا، وهذه الصّور كلّها فاسدة لما تتضمّن من أكل المال بالباطل ومن الغرر والخطر الذي هو شبيه بالقمار، ولذلك أبطلتها الشّريعة وكان أكيدر صاحب دومة الجندل يرعى النّاس ويقوم بأمرهم أوّل يوم فتقوم سوقهم إلى نصف الشّهر.[2]

وربّما غلب على السّوق بنو كلب فيعشوهم ويتولّى أمرهم يومئذ بعض رؤساء بني كلب فتقوم سوقهم إلى آخر الشّهر، ومنها (سوق هَجَر) بفتح الهاء والجيم اسم لجميع أرض البحرين ومنه سوق عمان كغراب ذُكر في القاموس أنّها بلد باليمن، وكشدّاد بلد بالشّام ولم يُذكر الموضع الذي كان سوقا،

[1] ينظر: مصطفى صادق الرّافعي، تاريخ آداب العرب، مكتبة الإيمان، د.ت، د.ط، المنصورة أمام جامع الأزهر، ص:70.

[2] ينظر: محمّد شكري الألوسي البغدادي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شر: محمّد بهجة الأثري، د.ت، ط1، ج1، ص:264.

ومنها سوق (المشقر) كمُعظم حصن بالبحرين كان فيه سوق للعرب تقوم من أوّل يوم من جمادى الآخرة[1]، وكان بيعهم بالملامسة والإيماء والهمهمة خوف الحلف والكذب.

ومنها سوق (صُحار)[2] تقوم لعشر يمضين من رجب الفرد خمسة أيّام، ومنها (الشّحَر) كالمنع ساحل البحر بين عُمان وعدن وبكسر تقوم في النصف من شعبان، بيعهم في هذه السّوق رمي الحصاة وإلقاء الحجارة. ومنها سوق (عدن) أين كانوا يرتحلون من الشَّحَر فينزلون هذا الموضع وعدن جزيرة في اليمن، ومنها كان يُجلب الأدم والبرود وكانت تُحلب إليها من معافر وهو بلد كان في اليمن. ومنها سوق (حضرموت) كانت تقوم في النّصف من ذي القعدة يحضرها بعض من قبائل العرب والبعض منهم يحضر سوقا أخرى تقوم في هذه الأيّام أيضا. ومنها سوق (ذي المجاز) موضع يمني كان به سوق في الجاهلية لما رواه الطّبراني عن مجاهد أنّهم كانوا لا يبيعون ولا يتبايعون في الجاهلية بعرفة ولا بمِنًى.

ومنها سوق (مَجنَّة) كانت تقوم فيها قرب أيّام موسم الحجّ، ويحضرها كثير من قبائل العرب، ومنها سوق (حُباشة) كانت في ديار بارق نحو (قَنونا) من مكّة إلى جهة اليمن. ولم تكن من مواسم الحجّ وإنّما كانت تُقام في شهر رجب.[3] ومنها سوق (عُكاظ) وهو أشهر أسواقها العربية القديمة وتحديدا في العصر الجاهلي قبل ظهور الإسلام ويُعدّ السبب الرّئيسي وراء تسمية هذا السّوق بهذا الاسم أنّه مشتقّ من لفظ "العكظ" وهو يشير في معناه إلى المضاربة والتّنافس بين التّجّار في بيع السّلع، وبين الشّعراء في إبراز موهبتهم الشّعرية. يقع في مكان يربط بين مكّة والطّائف ويتبع قبيلتي عدوان وهوزان وأهمّ شهرة هذه السّوق أنّهم كانوا يرتادونه من كلّ حدب وصوب، أشهر قبائله قريش، غطفان وخزاعة وعادة يُقام في ذي القعدة، أبرز سلعها: الأقمشة الحريرية، الزّيوت والمعادن، ومن العوامل التي ساعدت

[1] ينظر: محمّد شكري الألوسي البغدادي، المرجع السابق، ص:264-265.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص:265-266.

[3] ينظر: مصطفى صادق الرّافعي، المرجع السابق، ص:83.

في شهرته أنّه على مسافة قريبة من مكّة التي تُعدُّ أكبر المدن التّجارية في شبه الجزيرة العربية، أشهر حكّامها النّابغة الذّبياني.[1]

وهذه الأسواق حولية تقوم في أيّام معلومات من كلّ عام، لها فيهم حكّام وخطباء، وكانت تُقام في الأيّام الحُرم لوفرة الأمن، كذلك لم يلتزم العرب في إقامة السّوق في يوم معيّن وتقويضها في يوم، لهذا نرى اختلاف تاريخ قيام الأسواق، فأسواقهم أسواق موسمية تُقام في أنحاء شتّى من الجزيرة العربية تلتقي فيها مختلف القبائل.[2]

ثانيا: عوامل نشأة الأسواق العربية

يعتقد البعض أنّ العرب في التّاريخ كانوا أمّة منعزلة عن العالم نتيجة الوضع الجغرافي لشبه الجزيرة العربية، غير أنّ الدّراسات الحديثة أثبتت عكس هذا الاعتقاد، وبيّنت أنّ العرب لم يكونوا في منأى عن الحضارات القديمة التي جاورتهم وكانت لهم بها صلات حضارية، وممّا زاد من أهمّيتها وارتقائها فكريا وحضاريا. حيث كان للموقع الجغرافي لشبه الجزيرة العربية دور أساسي في العلاقات التّجارية المتبادلة.

وزادت أهمّية هذه الطّرق التّجارية وتأثيرها خلال الفترة الأخيرة في العصر الجاهلي. حيث كان لكلّ من الموقع الجغرافي للجزيرة العربية، وطرق المواصلات، ومراكز التّجارة المختلفة دور مهمّ في نشأة الأسواق العربية وازدهار التّجارة فيها، وفيما يلي تفصيل لذلك:

1-الموقع الجغرافي للجزيرة العربية

للموقع الجغرافي لأيّ مكان الأثر البالغ في مختلف نواحيه فقد:" توافر لشبه الجزيرة العربية موقعها المكاني المتوسّط بين بلاد الشّرق الأدنى القديم، ودورها البشري المؤثّر في تكوين السّلالات الأكثر عددا

[1] شيرين عبد السّلام، الموسوعة العربية الشّاملة، 03فبراير2021، ما أهمّية أسواق العرب القديمة وأنواعها (أشهر الأسواق العربية القديمة).

[2] ينظر: سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، المكتبة الهاشمية: محمّد هاشم الكبتي وشركاءه، دمشق، 1938م، 1356هـ، ص: 174، 177.

بين سكان الأقدمين. كما كان لها الوساطة والتّأثير في بعض خطوط اتّصالاته واقتصادياته"،[1] من خلال تحكّمها طرق التّجارة الدّولية التي تربط الشّرق بالغرب، وتصل الشّمال بالجنوب.

تعدُّ شبه الجزيرة العربية من أكبر أشباه الجزر في العالم من حيث المساحة حيث تشغل مساحة قدرها (3.150.000)كيلو متر مربّع، وتحيط بها المياه من جوانبها الثّلاثة، وعلى الرّغم من ذلك فلم يخفّف البحر من حدّة حرارتها القاسية، وقد أطلق عليها بعض العلماء تجوّزا اسم (جزيرة العرب).[2]

إذ أنّ الملاحظ في:" شبه جزيرة العرب لها موقع متوسّط بين أعظم الدّول وأقدم الحضارات فإلى شمالها الشّرقي بلاد فارس، وإلى شمالها الغربي بلاد الرّوم ومصر، وإلى غربها الجنوبي وراء البحر بلاد الحبشة، وفي جنوبها الهندي الذي يفصلها عن بلاد الهند".[3] فاعتُبرت بهذا الموقع الممتاز نقطة وصل ومحور التّلاقي بين العديد من الحضارات القديمة.

ويحدّ شبه الجزيرة العربية من الشّرق الخليج العربي الذي عُرف في نصوص بلاد النّهرين باسم: (البحر الأدنى) و(البحر المالح)، وعرّفه الكُتّاب الكلاسيكيون (اليونان والرّومان) باسم:(الخليج الفارسي) أو(البحر الفارسي). ويحدّها من الجنوب المحيط الهندي الذي عرّفه الكُتَّاب الكلاسيكيون باسم:(البحر الأحمر)، ويحدّها غربا البحر الأحمر الذي أطلق عليه الرّحالة والكُتَّاب الكلاسيكيون نفس التّسمية، وأمّا عن الحدود الشّمالية والشّمالية الشّرقية لشبه الجزيرة العربية فهي المنطقة الصّحراوية التي تمتدُّ من واد الرّافدين وتُعرف باسم (بادية السّماوة) (والصّحراء السّورية) وتُعرف باسم (بادية الشّام).

وبهذا كانت معظم تجارات العالم تُقام منذ القديم بين أقاليم الجزيرة العربية، و:" حتّى الدّولتان العظيمتان اللّتان تنازعتا النّفوذ والسّيادة في العالم القديم وهما فارس والرّوم، كانتا على علاقات تجارية

[1] عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، القاهرة، 1992م، د.ط، ص:03.

[2] جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بغداد، 1993م، د.ط، ج1، ص:140.

[3] سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص:09.

وسياسية مع بلاد العرب، وقبل نحو من ذلك في علاقة الحبشة والهند مع اليمن وعمان والبحرين وإن كانت أضيق حدود".[1]

فالجزيرة العربية تقع موقع القلب من العالم القديم وهذا أوّل وأبرز العوامل التي أدّت إلى نشأة وازدهار التّجارة في هذه البقعة الأرضية وقيام الأسواق بها في الفترة الأخيرة من العصر الجاهلي. فقد كانت شبه الجزيرة العربية بحسب موقعها الجغرافي صلة وصل وطريقا لمختلف القوافل التّجارية التي تحمل إليها السّلع.

2-طرق المواصلات التّجارية: تعدّدت الطّرق المارّة بمدن شمال الحجاز فبعضها طرق برّية والبعض الآخر طرق بحرية، منها:

أوّلا: الطّرق البرِّية

1-طريق التّبوكية: هو الطّريق من مكّة إلى فلسطين، ويمرّ هذا الطّريق بالقرب من يثرب، ولكن الرّحّالة يستهلّون هذا الطّريق في الانتقال من مكّة إلى يثرب ثمّ إلى بلاد الشّام.[2]

2-طريق الجادة: هو من مكّة إلى يثرب، وهي في الواقع طرائق كثيرة تسير في الوديان، وهي كلّها توازي طريق الجادة.

3-طريق الجانبية: هو من يثرب إلى مكّة، وتسير إلى غربي طريق الجادة؛ أي قريبا من ساحل البحر الأحمر، وهي تسير مع الجادة من يثرب إلى الرُّويثة ثمّ تنفصل عنها وتسير إلى إقليم العرج ثمّ في إقليم الفرع حتّى تصل إلى الجحفة وهناك تلتقي مع الطّريق الجادّة في مكّة.[3]

4-طريق يبدأ من خيبر إلى وادي القرى: وآخر يبدأ من دومة الجندل وفدك، وهناك طريق آخر يبدأ من يثرب إلى كلّ من نجد والبحرين.

---

[1] سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص:09.

[2] ينظر: جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، 1993م، ج7، ص:314.

[3] ينظر: مؤنس حسن، أطلس تاريخ الإسلام، الزّهراء للإعلام العربي، مطابع تيناواء، 1987م، ط1، سنغافورة، القاهرة، ص:99.

5–طريق الغربي: الذي كان يمتدُّ من جنوبي الجزيرة حتّى أيلة مارّا ببدر، ويتفرّع من بدر طريق يصل إلى يثرب، والطّريق الواصل بين اليمن ويثرب مارّ بمكّة حتّى يواصل المسافر السّير من يثرب حتّى يصل إلى بلاد الشّام، وكان الطّريق الواصل بين البصرة ويثرب يمرّ بمكّة ويتّحد مع جادّة الكوفة في معدن الكوفة.

6–طريق يبدأ من يثرب ويتّجه إلى كلٍّ من:" الشّجرة ومعرس ببطن وادي العقيق وأقرب للمعرس، وكان يخرج من يثرب طرق عدّة فرعية أخرى تتّجه إلى رومة (عبارة عن بئر يقع في الطّريق المنتهي ببلاد الرّوم) والرّبدة وهما يلتقيان مع طرق القوافل الرّئيسية".[1]

7–طريق تخرج منه القوافل التّجارية:" من جنوبي غرب الجزيرة وجنوبها عبر مكّة ويثرب حتّى السّاحل الشّرقي للبحر المتوسّط، وحول خليج العقبة إلى مصر".[2]

8–طريق يخرج من أيلة: متّجه نحو بلاد الشّام من خلال وادي اليتم إلى معان أو معون القديمة.

9–طريق البخور:" ينطلق من جنوب شبه الجزيرة العربية من منطقة الجوف أرض معين القديمة، إذ تُحمل فيه السّلع الآتية من حضرموت".[3]

10–طريق النّجدية:" هو الطّريق الرّئيسي من مكّة ويثرب إلى الأيلة، وهذه هي طريق زبيدة ومنها يتفرّع طريق تذهب إلى جنوب الشّام وهي المسمّاة أحيانا بالموشية، ويصل هذا الطّريق إلى البصرة (العراق)".[4]

---

[1] محمود عرفة محمود، العرب قبل الإسلام، عين للدّراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1995م، ط1، ص:242.

[2] مهران محمّد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، د.ت، د.ط، الاسكندرية، ص:134.

[3] حسن معمري، مكّة وعلاقتها التّجارية مع شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية خلال القرنين 5 و6 ميلادي، جامعة الجزائر، 2006/2005، ط1، ص:59.

[4] مؤنس حسن، المرجع السابق، ص:59–60.

11-طريق المعتدلة:" هو الطّريق الذي يبدأ من مكّة إلى يثرب حتّى المشلّل"[1]، ثمّ:" العرج ثمّ السّقيا ثمّ الأبواء ثمّ الجحفة إلى قديد ثمّ إلى عسفان ومنها إلى الطّهران ثمّ مكّة"[2]، كان هذا بالنّسبة لطرق المواصلات البرّية التي كانت تسلكها القوافل التّجارية قديما.

ثانيا: الطّرق البحرية:

لم تقتصر معرفة العرب على الطّرق البرّيّة فقط، وإنّما عرفوا علم الملاحة نتيجة حاجتهم له، وممّا قيل في هذا المجال:" وهناك بلاد كثيرة من اليمن والحجاز وعمان والبحرين...لهم متاجر في الهند والحبشة والرّوم وغيرهم، فكانوا ممّن تمسّ حوائجهم إلى ركوب البحر، ومعاناة سيره والقيام بما يعين على ذلك هو علم الملاحة".[3]

أمّا عن الطّريق البحري لبلاد الحجاز الذي كان معروفا، إذ كانت المواكب التّجارية تسير إلى مصر واليمن عبر ثغور الحجاز على البحر الأحمر، وفي الوقت نفسه كانت هذه الثّغور الحجازية على البحر الأحمر تستقبل سفنا تجارية من الحبشة والهند والصّين ومصر فضلا عن اليمن.[4]

ولما كان الحجازيون وسّعوا دائرة علاقاتهم الاقتصادية مع مصر والشّام والعراق واليمن والحبشة، لذلك كانت المراكب البحرية تأخذ طريقها إلى مصر واليمن عبر ثغور الحجاز المطلّة على البحر الأحمر التي اشتهرت بكونها مرافئ معروفة كانت تستقبل سفنا تجارية من الحبشة والهند والصّين.[5] فقد أدّت

---

[1] مؤنس حسن، المرجع السابق، ص:65.

[2] الهمذاني الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تح: محمّد بن الأكوع الحوالي، دار اليمامة، 1985م، د.ط، الرّياض، ص:299-301.

[3] العاني حقّي إسماعيل إبراهيم، أسواق العرب التّجارية في شبه الجزيرة العربية قُبيل وفي صدر الإسلام، جامعة بغداد، 1990، د.ت، كلّية الآداب، ص:31.

[4] ينظر: سليمان عبد الغني مالكي، بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتّى سقوط الخلافة العبّاسية في بغداد، جامعة القاهرة، مصر، 1981، ط1، ص:87.

[5] ينظر: صبري فالح الحمدي، أشراف الحجاز في القرن الثّامن عشر، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، 2009، ط1، ص:21.

الطّرق التّجارية دورا بارزا في حياة سكان شبه الجزيرة العربية في الفترات التّاريخية التي سبقت الإسلام، وكانت من بين أهمّ العوامل التي ساعدت على نشأة الأسواق العربية.

ثالثا: الكعبة والتّجارة وقريش

كان أهل مكّة من أبرع التّجّار وأنشطهم، إذ استفاد أهل مكّة من الوضع السّيّئ الذي طرأ على اليمن بعد وصول الأحباش إليها وأصبحت مكّة منذ أن آل أمرها إلى قريش مركزا للحياة الدّينية والاقتصادية في شبه الجزيرة العربية بسبب وجود الكعبة المشرّفة.[1]

وقد عُرف أهل مكّة بترفّعهم عن البخل والشّحّ فقد وصفهم الجاحظ بقوله:" ومن العجب أنّ كسبهم لما قلّ من قبل تركهم الغزو ومالوا إلى الإيلاف، والجهاد لم يعتريهم من بخل التّجّار قليل ولا كثير والبخل خلقة في الطّباع، فأعطوا الشّعراء كما يعطي الملوك، ووقّروا الأضياف ووصلوا الأرحام وقاموا بنوائب زوّار البيت يحبس الحيّة الإنطاع فيأكل منها القائم والقاعد، والدّاخل والرّاكب".[2]

وقد نسب الجاحظ ميل قريش للتّجارة واشتغالهم بها إلى تحمّسهم في دينهم وتشدّدهم فيه، وقد بلغت شهرة القرشيين في التّجارة ومهارتهم فيها إلى أن يذهب بعض المؤرّخين إلى القول:" إنّ قريشا إنّما سُمّيت كذلك لاحترافها التّجارة"،[3] وذُكرت رحلاتهم التّجارية في القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)** ﴾.[4]

---

[1] ينظر: مهران محمّد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، ص:296.

[2] صالح أحمد العلي، كتاب البلدان، مجلّة الآداب، 1970، ص:468.

[3] المرجع نفسه، ص:472.

[4] سورة قريش، الآية:1-4.

ويظهر من سورة قريش أنّ قريشا كان لها رحلتان في السّنة:" رحلة الشّتاء إلى اليمن ورحلة الصّيف إلى بلاد الشّام، وهما رحلتان تجاريتان لأغراض البيع والشّراء، وقد صارت مكّة لذلك العهد مركزا ماليا خطيرا في الحجاز".[1]

وعلى أيّ حال فإنّ أحوال مكّة السّياسية والاقتصادية والجغرافية قد جعلت منها مدينة عربية لجمع العرب.

وكان النّاس لا يأتون إلى قريش إلّا بدافع الدّين فكان الاجتماع في هذه القبيلة بغرض الحجِّ وزيارة الأصنام حيث كانت:" الوثنية دين الكثرة من العرب، أمّا القلّة منهم فكان البعض منهم على اليهودية في اليمن وما جاورها من أرض خيبر، وبعضها على النّصرانية بنجران الحيرة وفي قبائل طيء والغساسنة بالشّام".[2] ولهذا كثرت عندهم عبادة الأصنام في تلك الفترة وكانت قريش أهمّ قبيلة عربية وكانت مثابة للعرب وأمنا لهم، وكانت أيضا قافلة تجارية كبرى مقيمة، ومما:" زاد في بواعث هذا الاجتماع أنّهم جعلوها مسرحا للأدب، ولم تكن أسواقا تجارية فحسب، بل كانت أسواقا أدبية أيضا تُعرض فيها سلع الشّعر، وبذلك هيّأت لحركة أدبية واسعة النّطاق سيطرت فيها لغتها بحكم مكانتها الدّينية، وتنقّلها بتجارتها في أسواق العرب خارج ديارها فأصبحت لغة الآداب الرّفيعة"،[3] فتحوّلت بذلك من أسواق تجارية إلى أسواق أدبية، فأصبحت ملتقيات يلتقي فيها الشّعراء من قبائل عدّة وينشرون ما لديهم ويتلقّاها المستمعون بالتّعليق والنّقد.

يُعدُّ العصر الجاهلي من أهمّ العصور الأدبية التي شهدتها البشرية، وهو الفترة الممتدّة قبل بعثة النّبيِّ محمّد ﷺ، ويُعتبر الموطن الأوّل للأدب القديم هو الجزيرة العربية أو شبه الجزيرة العربية ذات الصّحاري الواسعة والبطاح الممتدّة. وكان هذا العصر ميدانا للحروب والغزوات لأحداث سياسية وظواهر

[1] أحمد حسن الزّيّات، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، 2004، ط8، بيروت، لبنان، ص:11.

[2] أحمد حسن الزّيّات المرجع نفسه، ص:11

[3] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي –العصر الجاهلي–، دار المعارف، 2003، ط24، مصر، القاهرة، ج1، ص:50.

اجتماعية واقتصادية ودينية، ولقد حظي الشّعر بمكانة مرموقة في تلك الحقبة إذ أنشأ العرب أسواقا لتبادل المنافع التّجارية أوّلا، وكانت محفلا أدبيا ثانيا حيث دعتهم طبيعة الاجتماع إلى المفاوضة بالقول وبالرّأي والمبادهة بالشّعر والمباهاة بالفصاحة والمفاخرة بالمحامد، حيث كان لها دور بارز في حياة سكّان الجزيرة العربية من خلال الفترة الأخيرة في العصر الجاهلي، وتطرّقنا إلى أهمّ الأسواق في الفترتين الجاهلية والإسلامية.

المبحث الثاني: أنواع الأسواق العربية وأثرها على الفنون الأدبية

أولا: أنواع الأسواق العربية

أ/ في الجاهلية: كان يوجد فيها ثلاثة عشر سوقا أوّلها قياما سوق دومة الجندل وهي على ثلاثة عشر مرحلة من المدينة، وعلى عشر مراحل من الكوفة، وعلى عشر مراحل من دمشق، أشهرها يُقام في الأشهر الحُرم، ولا يقوم في غيرها، فيرحل إليها بخفير ويرجع إليها بخفير.[1]

سوق دومة الجندل:

دوماء الجندل بلد يقع في نقطة متوسّطة بين الشّام والخليج الفارسي والمدينة على منتصف الخطِّ الواصل بين العقبة والبصرة تقريبا، صاحبها –أكيدر وإخوته– ثمّ كان معروفا بالاستيلاء والنّهب على القوافل فأمره الرّسول الكريم ﷺ بالتّخلّي عن هذه العادة غير أنّه عاد لها فأغار عليه عبد الرّحمن بن عوف ثمّ خالد بن الوليد حتّى أغير على المنطقة بأكملها، وأُقيم الصّلح التّجاري فيها وظفر العرب بها. تنزل القبائل هذه السّوق أوّل أيّام ربيع الأوّل للبيع والشّراء وكان بيعهم بالحصاة، رؤساء هذه السّوق من كلباء وإمّا من غسّان.[2]

سوق المشقر:

حصن بالبحرين لعبد القيس وهو قريب من هَجَر، أهله أزد يمانيون، تبتدئ سوقهم من أوّل أيّام جمادى الآخرة، فكانت أرضها معجبة لا يراها أحد فيصبر عنها.[3] وكان بيع هذه السّوق بالملامسة والإيماء والهمهمة خوف الحلف والكذب، ويقصد هذه السّوق العرب وأهل جوارها. ملوك هذه السّوق أُناس من بني عبد الله بن زيد رهط المنذر بن ساوي بن تميم وهم خاضعون لملك فارس.

---

[1] ينظر: أبو علي أحمد بن محمّد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، الأزمنة والأمكنة، دار الكتب العلمية، د.ت، د.ط، بيروت، لبنان، ص:238.

[2] ينظر: سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص:196.

[3] أبو علي أحمد بن محمّد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، مرجع سابق، ص:283.

سوق هَجَر:

يتناول اسم هَجَر أرض البحرين عامّة، وهي اليمن وعمان من أخصب بلاد العرب وأكثرها رخاءً إذ هي قاعدة البحرين، تهبط العرب هذه السّوق لأنّها فرصة للتّجارة يجدون فيها أصناف التّجارات تأتيهم من تُجَّار الهند وفارس، كما أنّها مشهورة بالتّمور الشّهية والنّوعية الجيّدة والخمور.[1]

سوق عُمان:

كورة عربية في جنوب الخليج الفارسي تمتدُّ على ساحل بحر اليمن، وتشتمل على بلدان كثيرة نخل وزروع وهي شديدة الحرارة حتّى إنّ حرّها يُضرب به المثل، بها فواكه جرومية كالموز والرّمّان والتّين ونحو ذلك، ويُضرب المثل في البُعد لأنّها في أقصى الجزيرة إلى الشّرق والجنوب، تفصلها عن اليمن صحراء الأحقاف وهي بعيدة عن الحجاز والعراق والشّام، تُقصد هذه السّوق بعد الانتهاء من سوق هَجَر، فترحل إلى عُمان وتقيم سوقها حتّى آخر جمادى الأولى، يجري التّبادل بين بضائع فارس والهند واليمن والحبشة والحجاز والشّام، تشتهر بالعنبر.[2]

سوق حُباشة:

تقوم هذه السّوق بتهامة في ديار بارق نحو (قَنونا) على ستِّ ليال من مكّة إلى جهة اليمن، فهي المتجر المتوسّط المشترك بين الحجاز واليمن، وأصل الحبش الجمع حباشة، والجماعة من النّاس ليسوا من جنس واحد، قد تاجر فيها الرّسول ﷺ ويقيت قائمة كلّ عام حتّى سنة سبع وتسعين ومائة، خرجت على يد داود بن عيسى.[3]

سوق صحار:

هو:" بلد من أعمر بلاد العرب وأغناها وأطفحها بالمتاجر وهي أعمر مدينة بعُمان وهي على

---

[1] أبو علي أحمد بن محمّد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، المرجع السابق، ص:208-216.

[2] ينظر: سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص:217-221.

[3] ينظر: المرجع نفسه: ص:223-224.

البحر وبها متاجر البحر وتصدّ المراكب، تُقام سوقها في العاشر من رجب إلى الخامس عشر وقد تتجاوزه وهي تجارية محضة وبيعهم بإلقاء الحجارة".[1]

سوق دبا:

ثمّ يرتحلون:" منها إلى دبا، وكانت إحدى فرص العرب يجتمع بها تُجّار الهند والسّند والصّين، وأهل المشرق والمغرب، فيقوم لها سوقها آخر يوم من رجب، فيشترون بها بيوع العرب والبحر، وبيعهم مساومة وكان الجلندي يعشرهم فيها، وكان يصنع في ذلك فعل الملوك في غيرها".[2]

سوق الشّحر:

ك:" المنع ساحل البحر بين عُمان وعدن ويُكسر تقوم في النصف من شعبان، وكان بيعهم في هذه السّوق أيضا برمي الحصاة وإلقاء الحجارة كما في سوق دومة الجندل".[3]

سوق عدن أبين:

كانوا يرتحلون:" من الشّحَر فينزلون هذا الموضع، وعدن جزيرة في اليمن أقام بها (أبين) فنُسبت إليه وتقوم سوقهم بها إلى أيّام رمضان فتشترى التّجارات وأنواع الطّيب".[4]

سوق صنعاء:

كانوا:" إذا ارتحلوا من عدن والشّعر تقوم إلى سوقهم بصنعاء في النّصف من شهر رمضان إلى آخره وصنعاء من أطيب بلاد اليمن، ومنها كان يُجلب الأدم (الجلد المدبوغ) والبرود (ثوب المخطّط والكساء يُلتحف به)، وكانت تُجلب إليها من معافر وهو بلد كان في اليمن".[5]

---

[1] ينظر: سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص:226-227.

[2] أبو علي أحمد بن محمّد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، مرجع سابق، ص:385.

[3] محمّد شكري الألوسي البغدادي، المرجع السابق، ص: 266.

[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[5] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

سوق حضرموت:

فأمّا:" الرّابية فلم يكن يصل إليها أحد إلّا بخفارة لأنّها لم تكن أرض مملكة وكان من عزّ فيها برّ صاحبه، فكانت قريش تتخفّر بني أكل المرار من كِندة، وسائر النّاس بآل مسروق بن وائل الحضرمي فكانت مكرمة لأهل البيتين، وفضلُ أحدهما عل الآخر كفضل قريش على سائر النّاس، فكان يُؤخذ إليها بعض النّاس وبعضهم إلى عكاظ، وكانتا تقومان بيوم واحد في النّصف من ذي القعدة تشتهر بالنِّعال".[1]

سوق عكاظ:

وهو من" أعظم أسواق العرب وكانت قريش تنزلها وهوزان وغطفان وخُزاعة والأحابيش. وهم الحارث بن عبد مناة، وعضل والمصطلق وطوائف من أفناء العرب ينزلونها في النّصف من ذي القعدة فلا يبرحون حتّى يروا هلال ذي الحجّة، فإذا رأوه انقشعت ولم يكن فيها عشور ولا خفارة. وكانت فيها أشياء ليست في أسواق العرب، كان الملك من ملوك اليمن يبعث بالسّيف الجيّد والحلّة الحسنة والمركوب الفاره، فيقف بها وينادي عليه ليأخذه أعزّ العرب، يُراد بذلك معرفة الشّريف والسّيّد فيأمره بالوفادة عليه ويُحسن صلته وجائزته، وكان بيعهم بها السّرار، فإذا وجب البيع وعند التّاجر ألف رجل ممّن يريد الشّراء ولا يريده فله الشّركة في الرّبح".[2]

سوق مجنّة: بفتح الميم وكسرها، موضع قرب مكّة، وهو الذي غنّاه بلال ﷺ بقوله متشوّقا إليه بعد الهجرة:

وهل أردنا يوما مياه مجنَّة وهل يبدون لنا شامة وطفيل

[1] أبو علي أحمد بن محمّد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، مرجع سابق، ص:385.

[2] المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

كانت تقوم سوقهم فيها قرب أيّام موسم الحجِّ، ويحضرها كثير من قبائل العرب.[1]

سوق ذي المجاز:

من أعظم أسواق العرب، لهم في تحديدها قولان: أنّها فرسخ من عرفة بناحية كبكب، وكَبْكَب جبل بعرفات خلف ظهر الإمام إذا وقف ذكره ياقوت وغيره.

والثّاني: أنّه موضع بمنى ومنى بين مكّة وعرفات في نصف الطّريق تقريبا، والذين نقلوا الأوّل أكثر عددا، وسمّي المجاز لأنّ إجازة الحاج كانت منه، تُقام بعد سوق مجنّة حتّى اليوم الثّامن من ذي الحجّة وهو يوم التّروية إذ أنّ ذا المجاز من مواسم الحجِّ عندهم، وهي شأنها شأن عكاظ.[2]

سوق نطاة خيبر:

قرية شمالي المدينة بينها وبين تبوك، وهي عدّة حصون لليهود وفيها مياه ومزارع، ونطاة اسم حصن بها واسم عين أيضا، وقيل هي خيبر نفسها، حولها نخيل كثير يُسقى بعين الحجاز منذ القديم واشتغلوا بالزّراعة والتّجارة ونجحوا في ذلك وأصبحت إحدى محطّات القوافل التّجارية في سفرها إلى الشّام، فأصبحت بمثابة مصرف الجزيرة المالي، تبدأ بعد أشهر الحجِّ.[3]

سوق حجر:

تقع بلاد اليمامة إلى غربي البحرين وجنوبي العراق، وهي من الأسواق المتوسّطة يقصدها العرب للبيع والشّراء والتّناشد، تشبه قليلا عكاظ في المفاخرة، كما كانت خاتمة المطاف للنّقائض الممتعة والحرب السّجال الطّويلة بين فحلين من أفحل شعراء العرب، وتقوم هذه السّوق بين عاشوراء وآخر محرّم.[4]

---

[1] ينظر: محمّد شكري الألوسي البغدادي، المرجع السابق، ص:266.

[2] ينظر: سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص:300-305.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص: 306-307.

[4] ينظر: سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص:308-311.

سوق بُصرى:

من مشارف الشّام عاصمة حوران، ومن كبار مدن الشّام قديما، محطُّ رِحال تُجَّار العرب في بلاد الشّام، وكان أهل الشّام على علاقات متواصلة مع سكّان الحجاز، لكثرة أسفار هؤلاء إلى الشّام، فهي سوق عامّة للقوافل الآتية من جزيرة العرب، فهي سوق عامّة تجارية، زمنها بعد موسم الحجِّ والغالب أنّها بين محرّم وربيع الأوّل وتستمرّ ثلاثين إلى أربعين ليلة تباع فيها منتجات الهند والحبشة وغيرها، اشتهرت بالسّيوف والخمور الجيّدة التي يُشرف جميع التُّجَّار على اقتناءها.[1]

سوق دير أيّوب:

قرية بجوران نواحي دمشق، يزعمون أنّها مسكن أيّوب عليه السّلام، وهي شمال بُصرى وغرب أذرعات (شيخ سعد)، وهي أوّل أسواق الشّام قياما؛ حيث إذا ما انتهوا من أسواقهم الموسمية عكاظ ومجنّة وذي الحجاز. تهيّئوا للسّفر إلى الشّام وأقاموا بدير أيّوب ومتى انتهوا منها وانتفضت اعتدّوا سبعين يوما ثمّ أقاموا سوق بُصرى.[2]

سوق أذرعات:

بلاد بالشّام قرب البلقاء، أمرها قريب من أمر بُصرى وتليها في الشّأن، وعلائق العرب التّجارية بها في الجاهلية كعلائقهم ببصرى واستفاظتها على ألسن شعرائهم تشبه ما لبصرى.

تقوم هذه السّوق بعد سوق بصرى بسبعين ليلة ويطول أمدها، وبقيت هذه السّوق قائمة بعد الإسلام بكثير وهي من أطول الأسواق يحكمها حُكّام الرّوم، اشتهرت بالخمر.[3]

سوق الحيرة:

مدينة واسعة الشّهرة منذ القديم، موضعها إلى شمال الكوفة على ثلاثة أميال منها، طيّبة الهواء

---

[1] ينظر: المصدر سابق، ص: 312-318.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص:319-320.

[3] ينظر: سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص:321-322.

وكثيرة البساتين، ردّد ذكرها الشّعراء منذ الجاهلية وفُتنوا بها وبخمرها، وحاناتها وأديارها، فكانت بحقٍّ مقصف العرب عامّة. وتعرض هذه السّوق سلعا كثيرة ومتنوّعة منهاك الأدم والعطور والبرود والجواهر والخيل والأموال، وسائر ما يُعرض في بقيّة أسواق العرب ممّا يُحمل من الشّام أو اليمن أو عمان أو الحجاز أو الهند أو فارس، عدا ما يُحمل من إبل وشياه، وفيها أيضا أدب وشعر وخَطابة ومنافرات، وكان عرب الجزيرة الذين تأثّروا بهم ونقلوا عنهم وكان الحيريون يجوبون الأقطار.[1]

ب/ أسواق العرب في الإسلام:

تحضّرت العرب وسكنت المدن الكبار من بلاد الشّام والعراق ومصر وغيرها، ومصّرت لأنفسها أمصارا عظُم شأنها مع الزّمن كالكوفة والبصرة وبغداد والقيروان...فصارت تستغني كلّ مدينة بأسواقها الدّائمة عن أسواق المواسم، وكفى الله العربَ مؤونة التِّرحال بين أسواق الجزيرة بما فتح الله عليهم وسهّل من تِجارات تأتي إلى مدنهم؛ بحيث يجدون في كلّ بلد عروضا كثيرة من بضائع البلدان، وعدل الذين يعانون التّجارة منهم عن أسفار البحار وأصبح من البديهي تضاؤل الأسواق الجاهلية بتضاؤل آثار البداوة في حياة العرب. ولكنّ سوقا واحدة نشأت في الإسلام واحتفظت بكثير من خصائص أسواق الجاهلية وزادت عليها بميزات واسعة أصبغتها الحضارة الجديدة واقتضتها حاجات الرّقيِّ الحديث تلك هي: سوق المربد في البصرة، سوق استطاعت أن تكون مرآة عاكسة لحياة العرب في الجاهلية كما تصوّر حضارتهم في الإسلام.

سوق البصرة (المربد):

محبس الإبل ومربطها، وهو في الأصل سوق للإبل، وأخذ مكان سوق عكاظ بعد انقضائه وموته، فالمربد إحياء لعكاظ بطريقة غير مباشرة، فهو معرض لكلّ قبيلة تعرض فيه شعرها ومفاخرها وعروضها، وهو مجتمع العرب ومتحدَّثهم ومتنزّه البصريين يؤمّه منهم من عاف عيش المدن، فهو في طرف

[1] ينظر: سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص:323-331.

الجزيرة على الخليج الفارسي، وبينه وبين الفرس قُرب قريب، فاختلفت فيه اللّهجات وأصبح فيه البلغاء والفصحاء من كلّ حدب وصوب، وأصبح لكلّ شاعر حلقته، وكذلك عُرف بالشّعراء والرُّجّاز وكثرة الرّوّاد وطلّاب الأدب، لأنّ هذا السّوق أرفد اللّغة بمادّة كثيرة عليها أسّس النُّحاة قواعدهم وأصلحوها.

وذلك بما كانوا يقصدون له فصحاء الأعراب يسألونهم فيما فيه يختلفون، والغريب أنّ المربد لم يكتف بأن يستأثر بكلّ ميزة كانت لعكاظ، بل جمعها وضمّ إليها ميزات جديدة أفادها من خصائص عصره وطبيعة اجتماعه، فالمربد كان ميدانا لأكبر فتنة وأشدّ حرب داخلية وقف فيها المسلم أمام المسلم يكافحه بسيفه ويشرع إليه برمحه، وهو أوّل حلقة نخرت الجسم الإسلامي ومكّنت عدوّه منه، وكانت أفتك به من كلّ حرب صليبية وغارة تتّارية.

فالمربد سوق البصرة أيّام الرّاشدين وأغلب ما يتاجر فيه التّمر والإبل والسّلاح والغنائم، ثمّ اتّسعت في الأمويين وازدهرت بالشّعراء والأدباء والعلماء ووفود القبائل، ثمّ نضجت حركة المربد الأدبية والعلمية نضجا يتّسق هو وما وصلت إليه من الحضارة وبسطة العلم وسعة السّلطان، وكان من أبطال المربد أكابر النّحاة وروّاة الشّعر والأدب والشّعراء.[1]

إذن فالأسواق العربية في الجاهلية لم تكن بذات الشّأن في الإسلام لأنّ الإسلام هذّبها وهذّب البيوع فيها، وأدخل بها قوانين وأضاف عليها، وهناك من أبقى عليها، غير أنّ لكلّ فترة ولكلّ سوق أهمّيته التّاريخية والشّعرية والتّجارية.

ثانيا: أثر الأسواق الأدبية في الفنون الأدبية

أوّلا: الشّعر:

يُعتبر العصر الجاهلي أوّل عصور التّاريخ الأدبي، وقد وصل إلينا من هذا العصر تراث أدبي احتلّ الشّعر فيه مكانة مرموقة، حيث يستطيع الدّارس لهذا الشّعر أن يتبيّن جوانب واضحة من حياة العرب في

[1] ينظر: سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص:357-371.

ذلك الزّمن، إذ أنّه –الشّعر– حفظ أيّامهم ووقائعهم وأخبارهم وأحداثهم. وتأتي أهمّية الشّعر الجاهلي من أنّه الأصل الذي انبثق منه الشّعر الجاهلي في سائر عصوره، والشّعر كما قيل ديوان العرب قديما وهو دلالة على الحياة العقلية إذ أنّهم:" يَعنون بذلك سجلَّ حياتهم سُجِّلت فيه أخلاقهم وعاداتهم، وديانتهم وعقليتهم، وإن شئت فقل إنّهم سجّلوا فيه أنفسهم. وقديما انتفع الأدباء بشعر العرب في الجاهلية وقال عمر بن الخطّاب: كان للجاهلية علم لم يكن لهم علم سواه".[1]

وقد أجمع الرّواة والنّقّاد على أنّ المعلّقات هي أجود الشّعر الجاهلي وأصدقه تصويرا لحياة العرب قبل الإسلام، وقد تناقلها العرب إعجابا واهتماما بشأنها:" وقد اختلفوا في أسباب تسميتها بالمعلّقات فمنهم من رأى أنّها كتبت في صحائف وعُلِّقت على جدران الكعبة تعظيما لأمرها، ويرى فريق آخر أنّ القصائد اختيرت من سائر الشّعر، وأنّ معنى المعلّقات المنتخبات، وإنّما سمّيت بهذا الاسم تشبيها لها بالقلائد التي تُعلَّق بالنُّحور، وهناك من سمّاها بالمعلَّقات لأنّها كانت تعلق بالنّفس لجودتها".[2]

فأعظم أثار الأسواق قبل البعثة هو التّوحيد وخاصّة التّوحيد اللّغوي الذي كان للشّعراء فيه على مدى سنين متطاولة أبلغ الأثر، في انتقاء الألفاظ والأساليب وشيوعها بوساطة الرّواة بين القبائل، و:"إذا شئت أن أختصر ذلك كلّه بكلمة واحدة قلت: إنّ نهضة الشّعر مدينة للأسواق بل مدينة لعكاظ خاصّة، وقد عُرف لها هذا منذ الجاهلية حتّى اليوم"،[3] فكان بذلك الشّعر ديوان علومهم وحُكمهم وسجلّ وقائعهم وسيرهم، وشاهد صوابهم وخطأهم، وكانوا كلّهم يروونه حتّى رُوي عنهم الشّعر ما لم يروى عن أمّة من أمم الأرض مثله، والأمثال في التّاريخ مستيقضة على تأثير الشّعر في نفوسهم كحديث الأعشى مع المحلّق، وحسّان مع بني المدان وغيرهم من الشّعراء الذين كانوا ينتقلون بين الأسواق.

[1] أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، لبنان، 1969، ط10، بيروت، ص:57.

[2] عبلة سالم الشّرعة، ياسمين داود السمارات، مدخل إلى الشّعر العربي القديم، دار الفكر، ط1، 2013، ص:28.

[3] سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص:92.

ثانيا: الخَطابة:

اكتسبت الذّاكرة الأدبية للرّواية على مرِّ العصور أصالة ممّا أتاح للرّواة أن يحتفظوا بنصوص من النّثر والتي قيلت في الأسواق العربية، ويمكن القول أنّ ما وصل إلينا من النّصوص النّثرية الجاهلية الأدبية والتّاريخية القديمة تأتي في مقدّمتهم الخطابة، ويلحق بها المنافرات.

والخطابة قديمة وعامّة في جميع الأمم وهي:" الكلام الذي يُلقى في جمهور النّاس للإقناع والتّأثير، وهي فنّ قديم وُجد مع الإنسان يلجأ إليه النّابهون في الإرشاد والخصومات والحثّ على الحروب والسّلام ويرقى كلّما استجدّت دواعيه واستقرّت الحرّية الفكرية والكلامية للشّعوب. وقد كانت الخطابة عند العرب في الجاهلية".[1]

والخطابة نوع من النّثر مهمّتها النّصح والإرشاد، والدّعوة للسّلم، وقد كان مسرحها قديما الأسواق والمحافل فهي:" التّأثير بالبيان، وعند المنطقيين والحكماء هو القياس المؤلّف من المظنونات أو منها من المقبولات، ويسمّى قياسا خطابيا، وصاحب هذا القياس يُسمّى خطيبا والغرض ترغيب النّاس بما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم".[2]

كما أفصح العرب في الجاهلية من نفوسهم بشعرهم، فكذلك أعربوا عمّا يجول في خواطرهم في أسواقهم عن طريق الخطابة. فالخطابة:" كالشّعر لُحمتها الخيال وسداها البلاغة وهي مظهر من مظاهر الحرّية والفروسية، وسبيل من سبل التّأثير والإقناع، تحتاج إلى ذلاقة اللّسان ونصاعة البيان، وأناقة اللّهجة وطلاقة البديهة، والعرب ذوو نفوس حسّاسة وإباء، وأُلُو غيرة ونجدة فكان لهم فيها القدم السّابقة والقدح المعلي، أمّا أسلوبها فقد كان رائع اللّفظ، خلّاب العبارة واضح المنهج، قصير السّجع، كثير الأمثال. وهم إلى قصارها أميل لتكون أعمق بالصّدور فقد أسعفتهم قوّة البيان التي يمتلكون والفصاحة وحضور البديهة

[1] أحمد الشّايب، الأسلوبية، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النّهضة المصرية، 1956م، ط5، القاهرة، ص:116.

[2] حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص، مؤسّسة المختار الثّانية، 2003م، ط1،القاهرة، ص:443.

في الإفصاح عن نفوسهم".[1] ومن عادات العرب فيها:" الوقوف على نشز من الأرض أو القيام على ظهر دابّة ورفع اليد ووضعها، والاستعانة على العبارة بالإشارة، واتّخاذ المخاصر بأيديهم والاعتماد على الصّفاح والرّماح أو الإشارة بها".[2]

كما كانوا يحبّون في الخطيب أن يكون:" حَسن الإشارة، جهير الصّوت، سليم المنطق، ثَبت الجَنان، وأشهر خطبائهم في هذا العصر: قسّ بن ساعدة الأيادي، وعمرو بن كلثوم التّغلبي، وأكثم بن صيفي التّميمي، والحارث بن عباد البكري، وعمرو بن معد يكرب الزّبيدي".[3]

فقد أصبح الخطيب أرفع قدرا من الشّاعر لما كثر الشّعر والشّعراء، وبعدما اتّخذ الشّعراء الشّعر مكسبة في الأسواق، إذ اكتسب مكانته المرموقة من خلال صفات لا تتوافر في الشّعراء.

وكان من الذين يخطبون في الجاهلية قسّ بن ساعدة الذي قال خطبته المشهورة في سوق عكاظ فيها تأمّلات في الحياة والكون بحثا عن وجود الخالق يقدّم فيها نصحه مخلصا فيقول:" أيّها النّاس اسمعوا وعُوا إنّه من عاش مات، ومن مات فات، وكلّ ما هو آت آت، ليل داج ونهار ساج وسماء ذات أبراج، ونجوم تزهر وبحار تزخر، وجبال مرساة وأرض مدحاة وأنهار مجراة، إنّ في السّماء لخبرا وإنّ في الأرض لعبرا. ما بال النّاس يذهبون ولا يرجعون؟ أرضوا فقاموا؟ أم تركوا فناموا؟ يا معشر إيادي أين الآباء والأجداد، وأين الفراعنة الشّداد؟ ألم يكونوا أكثر منكم مالا وأطول آجالا؟ طحنهم الدّهر بكلكله ومزّقهم بتطاوله". أقسم قسٌّ قسما بالله أنّ لله دنيا أرضى من دينكم هذا، وقال:

في الذّاهبين الأوّليـ ـنَ من القرون لنا بصائرُ
لـمَّا رأيتُ مواردًا للموت ليس لها مصادرُ
ورأيتُ قومي نحوها يسعى الأصاغر والأكابرُ

[1] أحمد حسن الزّيّات، المرجع السابق، ص:19.
[2] المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.
[3] المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

لا يرجع الماضي إليّ ولا يبقى من الباقين غابرُ

أيقنتُ أنّي لا محا لَهَ حيث صار القومُ صائرُ[1]

فقد تناولت هذه الخطبة مجموعة من الأفكار ملخّصها الحياة والموت، ويوجّه قسّ بن ساعدة خطابه إلى كافّة النّاس جميعا، فقد أجمعت خطبته شيئا من شعره في نفس الموضوع ختم به خطبته ليُحدث في جمهور السّامعين في سوق عكاظ هزّة نفسية عميقة، وتأثيرا عاطفيا لاستشهاده بشعره.

والخطبة في مجملها مجموعة من المواعظ التي صيغت صياغات مؤثّرة ممّا جعل النبيّ ﷺ يتأثّر بها ويستبقي في ذاكرته بعض عباراتها، فقد تلخّصت فيه جميع الصّفات التي ينبغي أن تكون في الخطيب فقد كان:" متمكّنا من اللّغة التي يخاطب بها، عارفا أقدار مستمعيه على استيعاب ما يقول ليتمكّن بذلك من دخول قلوبهم بقوّة الحجّة وفصاحة البيان"[2]، هذا بعض ما امتاز به قسّ بن ساعدة في خطبته. فقد كان البليغ المشهور وكانت العرب تعظّمه وضربت به شعراؤها الأمثال.

فقد صوّرت لنا الخطب الجاهلية حياة العرب الفكرية بما حفلت به من صفاء ونقاء، ونجد فيها الكثير من الحِكم والأمثال وألوان البيان من تشبيه وكناية واستعارة، فتناولوا المعاني الواضحة واستخدموا الأساليب السّهلة التي ترجمت أمور حياتهم في أساليب قويّة وعبارات فصيحة، ولهذا:" كثرت حِكمهم القصار وشاع بينهم الإيجاز، وبان في خطبهم أثر الارتجال، والانفلات من ترتيب الخطبة إلى مراحل وأجزاء، واتّسمت معانيهم بالصّدق والبعد عن المبالغات، ولعلّ هذا من تأثير الشّعر في الخَطابة من حيث الإيجاز والجمل القصار، أو لعلّ السّبب ميلهم إلى النّظر الجزئي والتّغيير العاجل السّريع الموجز".[3]

ثالثا: المنافرة:

ظاهرة المنافرة هي واحدة من جملة الظّواهر الاجتماعية الغريبة، حفل بها العصر الجاهلي فهي

---

[1] أحمد حسن الزّيّات، المرجع السابق، ص:20.

[2] أحمد حسين العيثاوي، دراسات في أدب العرب قبل الإسلام، دار دجلة، 2011، ط1، عمان، ص:20.

[3] أحمد الحوفي، فنُّ الخَطابة، ص:230. نقلا عن: تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، عبد الرّحمن عبد الحميد، ص:215.

عند القدامى:" المفاخرة والحكمة في الحسب"[1]، ومثّلوا لذلك فقالوا:" مثل الشّجاعة والجودة وحسن الخلق والجود والوفاء"[2]، وتبسّط أبو عبيدة قليلا فزاد في تعريف المنافرة فقال:" هي أن يفتخر الرّجلان كلّ واحد منهما على صاحبه ثمّ يحكم بينهما رجل كفعل علقمة بن علاثة وعامر بن الطّفيل حين تنافرا إلى هرم بن قطبة".[3] وهو يعني بذلك منافرتهما المشهورة في سوق عكاظ.

ويبدوا أنّ منافرات الجاهلية كانت كثيرة جدّا، كما أنّها كانت منتشرة على نطاق واسع في العصر الجاهلي والدّليل هو كثرة المؤلّفات التي كرّسها علماء القرنين الثّالث والرّابع الهجريين على التّأليف فيها:" فمن ألّف في المنافرات أبو المنذر هشام بن محمّد الكلبي، وأبوعبيدة معمر بن المثنّى التّميمي، وخالد بن طليق، وعلان الشّعروي، وغيرهم ممّن ذكر صاحب الفهرست".[4]

وكان للمنافرة في الجاهلية شروط خاصّة فهي لا تتمُّ في الغالب إلّا على الرّهان من الإبل يخرجها المغلوب في المنافرة للغالب، وقد تكون خمسين من الإبل كما في منافرة هاشم بن عبد مناف وأميّة بن عبد شمس"...فقال له هشام: أمّا إذا أبيت المنافرة فأنا أنافرك على خمسين ناقة سوداء الحدقة ننحرها بمكّة، والجلاء عن مكّة عشر سنين، قال فرَضِيا بذلك، وجُعل بينهما الكاهن الخزاعي".[5] وقد تصل إلى أكثر من ذلك في بعض المنافرات.

ولعلّ أفضل روايات المنافرة هي المنافرة التي وقعت بين عامر بن الطّفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب مع علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر، وأوّل ما هاج النّفار بينهما حسب رواية أبي الفرج الأصفهاني أنّ عامرا أبصر علقمة يتبوّل فقال يعنيه:" لم أر كاليوم عورة رجل أقبح، فأجاب

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مج7، ص:84.

[2] المرجع نفسه، مج1، ص:301.

[3] المرجع نفسه، مج7، ص:84.

[4] محمّد شكري الألوسي البغدادي، المرجع السابق، ص:304.

[5] محمّد بن حبيب البغدادي، المنمّق في أخبار قريش، عالم الكتب، 1985م، ط1، بيروت، ص:103.

علقمة: أما والله ما وثبت على جارتها ولا تنازل كتنها"[1]، وتستمرّ هذه الملاحاة بين الرّجلين إلى أن يقول علقمة:"...ولكن إن شئت نافرتك فيردّ عامر قد شئت، ومن هنا تبدأ المنافرة الحقيقية بين عامر وعلقمة وذلك بأخذ عامر زمام المبادرة فيقول: والله لأنا أكرم منك حسبا، وأثبتُ منك نسبا، وأطول منك قصبا.

فقال علقمة: لأنا خير منك ليلا ونهارا.

فقال عامر: لأنا أحبّ إلى نسائك أن أصبح فيهنّ منك.

فقال علقمة: على ماذا تنافرني يا عامر؟

فقال عامر: أنافرك على أنّي أنحر منك للقاح، وخير منك في الإصباح، وأطعم منك في السّنة الشّياح.

فقال علقمة: أنت رجل تقاتل والنّاس يزعمون أنّي جبان، والآن تلقى العدوّ وأنا أمامك أعزّ لك من أن تلقاهم وأنا خلفك، وأنت جواد والنّاس يزعمون أنّي بخيل ولست كذلك، ولكن أنافرك أنّي خير منك أثرا وأحدُّ منك بصرا، وأعزُّ منك نفرا، وأسرع منك ذِكرا.

فقال عامر: ليس لبني الأحوص فضل على بني مالك في العدد، بصري ناقص بصرك صحيح، ولكنّني أنافرك على أنّي أنشر منك أمّة، وأطول منك قمّة، وأحسن منك لمّة، وأجعد منك جمّة وأبعد منك همّة.

فقال علقمة: أنت جميل وأنا قبيح ولكنّني أنافرك بآبائي وأعمامي.

فقال عامر: أباؤك وأعمامي ولم أكن لأنافر بهم، ولكن أنافرك أنّي خير منك عقبا وأطعم جذبا.

فقال علقمة: قد علمت أنّ لك عقِبا في العشيرة، وقد أطعمت طيّبا إذ سارت ولكن أنافرك أنّي خير منك وأولى بالخيرات منك.

فقال عامر: والله لأنا أركب منك في الحماة، وأقلّ منك في اللّكماة، وخير منك للمولى والولادة.

فقال علقمة: والله إنّي أعزّ منك، إنّي لبرّ وإنّك لفاجر، وإنّي لوفيّ وإنّك لغادر ففيم تفاخرني؟

[1] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تح: لجنة من الأدباء، دار الثّقافة، 1983م، ط1، بيروت، ج15، ص:53.

فقال عامر: والله إنّي لأنزل منك للقفرة، وأنحر منك للبكرة، وأطعم منك للهبرة، وأطعن منك للثّغرة.

فقال علقمة: والله إنّك لكليل البصر، نكد النّظر، وثّاب على جارتك بالسّحر.

فقال بنو خالد بنو جعفر:" وهم فروع من بني كلاب وكانو يملون مع بني الأحوص على بني مالك بن جعفر": لن تطيق عامر، ولكن قال له: أنافرك بخيرنا وأقربنا إلى الخيرات.

فقال عامر: عنزة وتيس، تيس وعنزة "فذهب مثله".[1]

وظلّا هكذا في لجاجها المرّ إلى أن اتّفقا على الذّهاب إلى من يحكم بينهما، وطافا بكثير من الأحياء، ولكنّ أكثر العرب الذين ذهبوا إليهم خافوا عليهم من الشّرِ والفتنة إلا أن ذهبا إلى هرم بن قطبة الفزازي فحكم بينهما، وفي ذلك يقول لبيد بن ربيعة:

يا هرم بن الأكرمين منصبا إنّك قد أوتيت حكما معجبا

فطبّق المفصّل واغنم طيبا[2]

يقول:" أحكم بن عامر الطّفيل وعلقمة بن علاثة بكلمة فصل ويأمر قاطع فتفصل بها بين الحقِّ والباطل كما يفصل الجزّار الحاذق مفصل العظمين".[3]

وهكذا فقد كان لمنافرة عامر وعلقمة أثرها الواضح في محيط الشّعر الجاهلي وبخاصّة في ظلِّ تقاليد الجاهلية التي كانت تُعلي من شأن العصبية القبلية، فقد ساعدت تلك التّقاليد أن تخرج منافرة علقمة وعامر من حيّزها الشّخصي الضّيّق الذي كان يدور في بداية الأمر حول رجلين من رجال القبيلة إلى حيّزِ أوسع بكثير من الحيّز القبلي الذي رأى الجميع أن يدخل فيه منحازا إلى هذا الطّرف أو ذاك.

ويأتي الشّعراء على رأس القائمة من حيث تأثّرهم بالعصبية القبلية، وانقسامهم بين فريقين في صفّ عامر والآخر في صفِّ علقمة، وبعد أن قطع التّكسّب بالشّعر في ذلك الحين شوطا لابأس به في

---

[1] أبو الفرج الأصفهاني، المرجع السابق، ص:53.

[2] أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، البيان والتّبيين، دار الفكر، د.ت، ط4، لبنان، بيروت، ج1، ص:109.

[3] المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

العصر الجاهلي فقد أصبح من السّهل أن يؤدّي بعضهم دور شاعر القبيلة التي تعوّد أن ينطق بمفاخرها ويدافع عن شرفها مقابل عطاء تافه أو ثمن قليل.

وخلاصة القول أنّ المنافرة هي محاورة أساسها الجدل حول أيّهما أفضل في النّسب ممّا يؤدّي بهما للتّحاكم للفصل بينهما، والمنافرة فنٌّ تطوّر عنه فنُّ النّقائض وهي أصل للهجاء وهي الصّورة البدائية السّاذجة للمناقضات، وفي الأبيات الشّعرية التي قيلت حول هذه المنافرة نرى الحوار السّاذج البسيط الذي يُعدّ صورة للنّقيضة في طورها الجاهلي الأوّل، ونستطيع القول أنّ النّقيضة الجاهلية نشأت في صورتها السّاذجة نثرا عاديا وقامت على نقض المعاني أوّلا وقبل كلّ شيء دون الجانب الموسيقي الذي يتمثّل في وحدة القافية والبحر، وبهذا نرى وجه التّشابه بين النّقائض والمنافرة.

الفصل الثاني:

دراسة سوق عكاظ

المبحث الأوّل: تاريخية سوق عكاظ

أولا: اشتقاق سوق عكاظ

أوّلا يجب الابتداء بتعريف كلمة "عكاظ" والبحث عن معانيها للنّظر في العلّة التي حملتهم على جعلها اسما لهذه السّوق العظيمة، والمعاجم العربية غنيّة في هذا الموضوع، فعُكاظ: بضمّ أوّله وآخره معجمة، قال اللّيث:" سمّي عُكاظُ عكاظًا لأنّ العرب كانت تجتمع فيه فيعكظ بعضهم بعضا بالفخار؛ أي: يدعك، وعكظ فلان خصمه باللّدد والحجج عكظا".[1] وقال غيره: عَكَظ الرّجل دابّته يعكظها عكظا إذا حبسها.

وتعكّظ القوم تعكُّظا إذا تحبّسوا ينظرون في أمورهم، قال: وبه سمّيت عكاظ، وحكى السّهيلي: كانوا يتفاخرون في سوق عكاظ إذا اجتمعوا. ويقال عكظ الرّجل صاحبه إذا فاخره وغلبه بالمفاخرة فسمّيت عكاظ بذلك. وعكاظ اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية، وكانت قبائل العرب تجتمع بعكاظ في كلّ سنة يتفاخرون فيها ويحضرها شعراؤهم ويتناشدون ما أحدثوا من الشّعر ثمّ يتفرّقون، وأديم عكاظي نُسب إليه وهو ممّا يُحمل إلى عكاظ فيُباع فيها.[2]

ومنه قالوا: تعكّظوا في مكان كذا إذا اجتمعوا وازدحموا، قال عمرو بن معد يكرب (من المتقارب):

ولكنّ قَومي أطاعوا الغُوا ةَ حتّى تعكّظ أهل الدّم[3]

ومن هنا نرى أنّ الكلمة حملت معانٍ كثيرة غير أنّها تعني: المفاخرة والتّحاج، حيث نرى أنّ للتّسمية علاقة وطيدة مع نشاط السّوق وما كان يجري فيه من إلقاء للأشعار هناك.

---

[1] ابن منظور، المرجع السابق، ص:447.

[2] ينظر: الحموي الرّومي البغدادي، معجم البلدان، الحموي دار صادر، د.ت، د.ط، بيروت، مج1، ص:142.

[3] الزّمخشري، دار أساس البلاغة، الكتب العلمية، د.ت، د.ط، بيروت، لبنان، ج1، ص:672.

ثانيا: عكاظ سوق أدبي ومحفل للشّعراء

من خلال تعريجنا على عديد الأسواق السّابقة نرى أنّ سوق عكاظ هي المختلفة عن الأسواق الأخرى، فهي سوق أدبية أكثر منها تجارية، فقد كانت ملتقى للفنون الأدبية، وعلى غرار اسمها الذي أخذه من النّشاط السّائد فيه ألا وهو المفاخرة أو الفخر، فهذا لا يستثني وجود أغراض أخرى كالرّثاء والمدح وغيرها، حيث أنّ تناشد الشّعراء في عكاظ كان ضروريا لإقامة السّوق للبيع والشّراء، وفي هذا نرى قول القلقشندي:" ثمّ يرتحلون إلى عكاظ في الأشهر الحُرم فتقوم أسواقهم ويتناشدون الأشعار ويتحاجّون"[1]، فمن هنا تعرف أنّ هذا السّوق ملتقى للشّعراء، ومعظم الأشعار التي تُنشد في السّوق شعر جدير جادت به قرائح الجاهليين، يُلقونه فيضمنون انتشاره في أحياء العرب تتلقّفه الرّواة فتذيعه ويسمعه أهل النّقد فيقوّضونه أو يعيبونه، وفي هذا المجال نرى قول السّهيلي:" وكانت قبائل العرب تجتمع بعكاظ في كلّ سنة ويتفاخرون فيها، ويحضرها شعراؤهم ويتناشدون ما أحدثوا من الشّعر ثمّ يتفرّقون".[2]

ومن هذا القول نستنتج أنّ الشّعراء كانوا يلتقون بعكاظ لإلقاء الشّعر والتّفاخر والإنشاد وإلقاء أشعار جديدة ثمّ يتفرّقون، فكلّ من يشهد هذه السّوق من العرب يرجع إلى من غاب من قومه فيخبرهم بما سمع ورأى، وفي هذا أومأ القزويني:" والعرب إذا اجتمعوا في هذه المواسم فإذا رجعوا إلى قومهم ذكروا لقومهم ما رأوا وما سمعوا".[3]

وهنا نرى أهمّية ما يجري في هذه السّوق وأنّ كلَّ ما يقال من الشّعر يتمّ نقله وتداوله وفحصه، حيث نرى اهتمام العرب بالشّعر في عكاظ إذ أنّهم:" كانوا يعلّقون القصائد السّبع افتخارا بفصاحتها على من يحضر الموسم من شعراء القبائل، وكان كلُّ شريف إنّما يحضر سوق بلده إلّا عكاظا فإنّهم

[1] صبح الأعشى، القلقشندي، دار الكتب العلمية، د.ت، د.ط، لبنان، مج1، ص:468.

[2] الحموي الرّومي البغدادي، المرجع السابق، ص:142.

[3] القزويني، آثار البلاد وأخبار لعباد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1380هـ، ص:85.

يتوافدون بها من كلّ جهة، فكان يأتيها قريش وهوزان وسليم والأحاشيش وعقيل والمصطلق وطوائف من العرب".[1] فهي مقصد كلّ القبائل من كلّ الأنحاء والبقاع.

ومن الغريب في سوق عكاظ نرى ذلك الدّور الذي تقوم به الخنساء والتي شاركتها فيه هند بنت عتبة، إذ كانت تذهب الخنساء لتعاظم النّاس في موت أخويها معاوية وصخر وفي أبيها عمرو لابسة صِدارها تتلو مراثيها فيهم عشيّتها وصحوتها، فلمّا كانت موقعة بدر وقتل المسلمون عتبة بن ربيعة أبا هند والوليد أخاها وشيبة عمّها ترثيهم وذهبت إلى حيث ينتشر الشّعر بين العرب في عكاظ، فهنا التقت مع الخنساء وأخذت تندب قتلاها.[2]

ومن هنا نرى أنّ عكاظا كان من أغراضه الرّثاء كذلك، وذكر محاسن الميّت. ومن الأحداث التي وقعت في عكاظ ما يقدّمه الشّعراء بين يدي حكم النّابغة الذّبياني، فكان يجلس الشّعراء فيُلقون ما جدَّ من شعرهم أمامه ثمّ يُصدر حكمه، وكان النّقد آنذاك انطباعيا منبعه السّليقة والسّجيّة العربية ومعتمدا على الذّاتية، إذ حكم للأعشى على الشّعراء جميعا ثمّ تلت الخنساء في مسابقة شعرية أغضبت حسّان بن ثابت ﷺ، والقصّة مشهورة بين أهل الأدب.[3]

ومن النّشاطات الأدبية التي كانت بسوق عكاظ كذلك نرى الخطب والشّعر عند الجاهليين صنوان فهما أداة التّعبير وهما التّاريخ وديوان للعرب، وللخطبة والخطباء مقام عند العرب لا يقلّ عن مقام القصيدة والشّاعر، وقد تفوق الخطبة القصيدة شهرة وأهمّية خاصّة إذا كان قائلها أحد حكماء العرب

[1] الألوسي، المرجع السابق، ص:267.

[2] ينظر: ناصر بن سعد الرّشيد، سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام، تاريخه نشاطه وموقعه، دار الأنصار، 1997م، 1397هـ، ط1، القاهرة، ص:70-71.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص:73.

ومن أبرزهم: قسُّ بن ساعدة الأيادي وأكتم بن صيفي، وأشهرها خطبة قسّ بن ساعدة والتي ارتاح لها الرّسول ﷺ وارتجّت بها عكاظ والبطاح ومن حولها، وردّدت صداها العبلاء والحريرة، وقد ذكرناها آنفا.[1]

فالشّعراء يُلقون قصائدهم فعادة يقفون، أمّا عن الخنساء وهند فكانتا تلقيان شعرهما في هودجهما على بعيرها المسموم، أمّا الخطيب فكان يقف على منبر أو جمل وفي هذا يؤكّد المرزوقي في قوله:" كانت بعكاظ منابر في الجاهلية يقوم عليها الخطيب بخطبته وفعاله ومآثره، وأيّام قومه من عام إلى عام فيما أخذت أيّامها وفخرها".[2] وقسُّ بن ساعدة هو من خطب على شرف واتّكأ على سيف، وكذلك من عاداتهم الوقوف على نشز من الأرض أو القيام على ظهر دابّة ورفع اليد ووضعها.[3]

فعكاظ وجهة التّاجر والشّاعر والخطيب والعاقل، فهو مكان تتلاقى فيه العقول والأفئدة، ويلتقي فيه فصحاء العرب، فلا غريب في الأمر في هذا التّجمّع الكبير في هاته السّوق لأنّها تزخر بكلّ المجالات فيجتمع فيه القبائل من كلّ جانب، وهذا ما مكّن له الدّور البارز والمهمّ غير البيع والشّراء فأسهم بذلك في إثراء اللّغة وتهذيبها.

فعكاظ مجمّع أدبي اهتدى إليه العرب لتهذيب لغتهم في ألفاظها وعباراتها، وإلى جعل لغة الشّعر والخطابة واحدة بين معظم قبائلهم، بل كان لعكاظ والمواسم الأخرى دور أعظم فهي تأتي على رأس الأسباب التي أفضت إلى الوحدة اللّغوية بين قبائل العرب قبل الإسلام.[4] فاختلاط هذه القبائل وتحاورها مع بعض في مجال البيع والشّراء وشتّى الأمور، وتبادلهم للتّفاخر والشّعر ورواية الأحاديث والرّوايات بعضهم لبعض عمّا فاتهم من عام إلى عام، فتباريهم وتفاخرهم أسهم في حفظ الشّعر الجاهلي.[5]

---

[1] ينظر: مصطفى صادق الرّافعي، المرجع السابق، ص:78.

[2] أبو علي أحمد بن محمّد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، المرجع السابق، ص:170.

[3] أحمد حسن الزّيّات، المرجع السابق، ص:30.

[4] عرفان محمّد حيمور، سوق عكاظ ومواسم الحجّ، مؤسّسة الرّحاب الحديثة، د.ت، ط1، بيروت، لبنان، ص:167.

[5] سحاب فكتور، عنقاء الجزيرة العربية، سوق عكاظ، دار المحترف السّعودي، د.ت، ط1، ص:34.

فعكاظ وكما قال الشّيخ أحمد رضا:"...ولعلّي إذا قلت إنّ أكبر همّ لهم في هذه الأسواق مجالس للتّحدّث بأيّامهم وحروبهم، ونوادي يتبارى فيها خطباؤهم وشعراؤهم..."[1] فكما هي سوق للتّباري وبيع السّلع هي أيضا ميدان لعرض الأشعار والخطب.

فعكاظ كان بمثابة أداة صقل وجرد حيث كان لا ينقل شيء يخلو من الفصاحة، وكيف لا وهم أفصح الأقوام وهم الذين تحدّاهم الله بقرآنه الكريم، ومنهم من أرجعها إلى الدّين كالمستشرق بروكلمان إذ يقول:"...وإلى هذه الأسواق، وبالتّالي إلى الدّين بشكل غير مباشر، يعود معظم الفضل في توحيد نظرة العرب الجاهليين إلى العالم، وصهر عاداتهم ومفاهيم الشّرف عندهم في بوتقة واحدة ومنحهم لغة شعرية مركّزة تسمو على جميع اللّهجات وتستغرقها"[2]، ولأنّ عكاظ تُعتبر من مواسم الحجِّ والاحتفال فيها كان دينيا، فهي بذلك تبادل ثقافي وروحي عند العرب، " ولا يخفى أنّ مثل هذا الاجتماع العام من أحوال الحضارة، ولذلك اقتضت الصّناعة اللّسانية فكان العرب يرجعون إلى منطق قريش، كما كان هؤلاء يبالغون في انتقاء اللّهجات، وانتقاء الأفصح منها، وهذا هو الدّور الأخير من أدوار التّهذيب اللّغوي، إذ يدخل في حالة عامّة يشيع فيها المنطق الفصيح وتبلغ بها اللّغة درجة عالية من النّشوء ليس بعدها إلّا موت الضّعيف وتحوّله إلى شكل أثري لا منفعة فيه للمجموع المكوّن على هذه الطّريقة ولكنّه يدلّ على أصل التّكوين".[3]

إذن فالاجتماع من أحوال الحضارة، والمنطق من قريش والبقاء للأفصح من اللّغة فقط، فهذا هو التّهذيب اللّغوي في سوق عكاظ، فهو فسيفساء جمعت بين مناحٍ عديدة من اللّغة والشّعر والخطابة ووضعتها في قالب وصقلتها ممّا جعلها أنموذجا عامّا وصحيحا بين قبائل العرب.

---

[1] عرفان محمّد حيمور، المرجع السابق، ص:167.

[2] كارل بروكلمان، تاريخ الشّعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلكي، دار العلم للملايين، 2005، ص:26.

[3] مصطفى صادق الرّافعي، المرجع السابق، ص:78.

ثالثا: موقع سوق عكاظ

رغم شهرة السّوق وأهمّيته الكبيرة أدبيا وتجاريا وسياسيا وتاريخيا غير أنّنا نجد صعوبة في تحديد موقعه، وهذا ما يرجعنا إلى مجموعة من آراء النّقّاد حول موقعه.

أوّلا: أقوال تدلّ على أنّ عكاظا موضع بين مكّة والطّائف أو بين نخلة والطّائف، وتذكر المسافة ما بين عكاظ وغيرها من البلدان والمعالم الهامّة كمكّة المكرّمة والطّائف ونخلة، والمسافة تقاس آنذاك بالميل والبريد وإمّا بسير الرّواحل كالمرحلة واليوم واللّيلة، وممّن قالوا هذا الخليل بن أحمد:" وهو من مكّة على مرحلتين أو ثلاث قريب من ركبة"[1]، وقول الأصمعي:" عكاظ نخل في وادٍ بينه وبين الطّائف ليلة، وبينه وبين مكّة ثلاثة أميال"[2]، وقول ابن حجر:" وهو نخل في وادٍ بين مكّة والطّائف وهو إلى الطّائف أقرب بينهما عشرة أميال وهو وراء قرن المنازل بمرحلة من طريق صنعاء إلى اليمن".[3] فكلّ هذه التّعاريف تحدّد موقع السّوق عبر المسافات بين مكّة والطّائف.

ثانيا: الأقوال التي ترى أنّ عكاظا في نجد أو جهته.

قال اليعقوبي:" ثمّ سوق عكاظ بأعلى نجد، يقوم في ذي القعدة، وينزلها قريش وسائر العرب إلّا أنّ أكثرها مضر".[4] وقال الهمذاني:" ثمّ سراة الطّائف غورها مكّة، ونجد ديار هوازن من عكاظ والعبر".[5] وغيرهم كالحميري وصاحب الكنز المدفون، ومحمّد بن حبيب والفيومي، ومحمّد بن عبد الملك الأسدي. وهذه التّعريف تحدّد موقع عكاظ على أنّه في نجد.

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج1، تحقيق عبد الله درويش دار صادر، د.ت، د.ط، بغداد، العراق، 1364هـ، ص:122.

[2] الحموي الرّومي البغدادي، المرجع السابق، ص:142.

[3] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المكتبة السّلفية، د.ت، د.ط، ج8، ص:681.

[4] أحمد بن أبي يعقوب بن وهب ابن واضح اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، ج1، بيروت، لبنان،1379هـ.ص:280.

[5] الهمذاني الحسن بن أحمد ابن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تح: الشيخ محمّد ابن بليهدا النجدي، القاهرة، مصر، 1903م، ص:71.

ثالثا: الأقوال التي ترى أنّ عكاظا على طريق صنعاء من مكّة المكرّمة وراء قرن المنازل؛ قال ابن حجر:"...وهو موسم معروف للعرب، بل كان من أعظم مواسمهم وهو نخل في وادي مكّة والطّائف وهو إلى الطّائف أقرب بينهما عشرة أميال، وهو وراء قرن المنازل بمرحلة من طريق صنعاء اليمن".[1]

وقال الأزرقي:" وعكاظ وراء قرن المنازل بمرحلة على طريق صنعاء في عمل الطّائف على بريد منها".[2] وقال الفيومي:" وعكاظ وزن غراب سوق من أعظم أسواق الجاهلية وراء قرن المنازل برحلة من عمل الطّائف عن طريق اليمن".[3] فهؤلاء يرون أنّ عكاظ على طريق صنعاء مكّة المكرّمة وراء قرن المنازل.

رابعا: الأقوال التي ترى أنّها قريبة من مكّة أو أحد معالمها وذلك من خلال: قول بن الكلبي:" كانت بأسفل مكّة على بريد منها غربي البيضاء".[4] وقال المرزوقي:" وعكاظ قريب من عرفات".[5] فهؤلاء حدّدوا مكانه بالقرب من مكّة أو أحد معالمها.

خامسا: الأقوال التي تذكر طبيعة عكاظ نفسها، ولا تحدّد مكانا بعينه وإن كانت هذه الأقوال تفيد في تحديد المكان مع غيرها:

قال البكري:" صحراء مستوية لا عَلم بها ولا جبل إلّا ما كان من الأنصاب التي كانت في الجاهلية، وبها من دماء البُدن كالأرحاء العظام"[6]، وقال الفيومي:" وهو صحراء مستوية لا عَلم فيها ولا جبل".[7]

---

[1] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ص:681.

[2] الأزرقي، تاريخ مكّة، تح: رشدي ملحس، مكة المكرمة، السعودية، د/ط، ص:210.

[3] الفيومي، المصباح المنير، القاهرة، ج2، 1302هـ، ص:49.

[4] عبدالقادر البغدادي، خزانة الأدب، تح: تيمور باشا، ج4، ص:360-361.

[5] أبو علي أحمد بن محمّد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، المرجع السابق، ص:165.

[6] البكري، معجم ما استعجم، تح: عبد الستار فراج، القاهرة، مصر،1364هـ، ص:960.

[7] الفيومي، المرجع السابق، ص:49.

سادسا: أقوال تذكر سكّانها دون تحديدها: قال الهمذاني:" عكاظ بمعكد هوزان وهو سوق العرب القديمة وهي لبني هلال اليوم".[1] وقال أيضا:"كان عكاظ في وسط أرض قيس عيلان".[2]

سابعا: أقوال تربك الباحث من تناقض فيها: قال ابن حبيب:" وعكاظ بأعلى نجد تقريبا من عرفات".[3] عرفات".[3]

ثامنا: أقوال تربط عكاظ بأمكنة أخرى مجاورة له من شأنها أن تهدي الباحث إلى التّعرّف على مكان عكاظ:

قال البكري:" ويتّصل بعكاظ بلد تسمّى ركبة بها عين تسمّى عين خليص للعمريين".[4] وقال ابن ابن خلدون:" ومن أعمال الطّائف سوق عكاظ والعرج وعكاظ حجر بين اليمن والحجاز".[5] وقال ابن حجر:" وكان المكان الذين يجتمعون به منه؛ أي (من عكاظ) يقال له الأثيداء".[6]

وإذا اعتمدنا قول الجغرافيين العرب ومن كتبوا في موضع سوق عكاظ فإنّ السّوق تقع على مسافة ثلاثة أميال من مكّة المكرّمة ناحية الجنوب الشّرقي وعلى مسافة يوم من الطّائف ناحية الشّمال الشّرقي، وإذا رسمنا دائرتين واحدة مركزها مكّة المكرّمة وشعاعها 120 كيلو مترا (مسير اليوم يقرب في الإجمال 40 كيلو مترا)، والثّانية مركزها الطّائف وشعاعها 40 كيلو مترا يصبح تعيين مكان السّوق دقيقا نسبيا.

---

[1] صفة جزيرة العرب، المرجع السابق، ص:265.

[2] الهمذاني، المرجع السابق، ص:184.

[3] ابن حبيب، المحبّر، تح: إيلزه ليختن شتيتر، حيدر أباد، 1942،ص:267.

[4] معجم ما استعجم، المرجع السابق، ص:960.

[5] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، بيروت، لبنان، ج2 ، 1967، ص:614.

[6] ابن حجر العسقلاني، المرجع السابق، ص:681.

فالسّوق كانت تقام في مكان فسيح جدّا، يتيح تنقّلها من عام إلى آخر في سهل معروف موقعه، وكانت مساحة السّوق تتّسع حينا وتضمر حينا آخر في داخل هذا السّهل، وقد نقل ياقوت عن الأصمعي والواقدي أنّ نخيلا كان في المكان يسمّى الأثيداء.[1]

وذكر أبو عبيدة أنّه كان بعكاظ أربعة أيّام: يوم شمطة، ويوم العبلاء، ويوم شرب، ويوم الحريرة. وهي كلّها من عكاظ قال:" فشمطة" من عكاظ هو الموضع الذي نزلت فيه قريش وحلفاؤها من بني كنانة بعد يوم نخلة، وهو أوّل يوم اقتتلوا فيه أيّام الفجار بحول على ما تواعدت عليه من هوازن وحلفائها من ثقيف وغيرهم.[2]

"شمطة": موضع أطبق القدماء على أنّه في عكاظ، ولكنّه اليوم لم يعد معروفا.

"العبلاء": يُفهم من كلام المحقّقين أنّها اسم عَلمٍ لأكمة من صخور بيض إلى جنب عكاظ، في جهة الجنوب والغرب ويليها في جنوبها العُبيلاء وهي قرية من أعمال الطّائف، مجاورة لعكاظ، ينزلها بنو عدوان من قيس بن عيلان، وقيل إنّ العبلاوات هي الصّخور البيض التي كانوا يطوفون بها في عكاظ، وهي ما تزال منتشرة على أرضه.

"شرِب": واد عظيم ينحدر من الغرب والجنوب ويمرّ شمال الطّائف، ثمّ يلتقي بوادي الحوّية قادما من غربه فيتّحدان في واد واحد، ينحدر إلى الشّرق والشّمال، ويجوز السّلسلة الجبلية لبلاد عدوان ثمّ يفضي إلى سهل متّسع من الأرض هو موضع عكاظ حيث يلتقي به هنالك وادي الأَخَيْضِر، وهو من منازل قبيلة عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان، ثمّ ينتهيان إلى سهل ركبة ويسمّى يوم شرب أيضا يوم عكاظ إشارة إلى أنّ أرض عكاظ إنّما هي موضع شرب.[3]

---

[1] ينظر: سحاب فكتور، عنقاء الجزيرة العربية، ص:20.

[2] ينظر: المرجع السابق، ص:268.

[3] ينظر: عرفان محمّد حيمور، سوق عكاظ ومواسم الحجّ، ص:22.

"الحريرة": وهي حَرّة، أطبق القدماء على أنّها تقع إلى جنب عكاظ ممّا يلي مهبّ جنوبه؛ أي من حيث تهبّ ريح الجنوب، وقد رجّح الشّيخ الجاسر أنّها الحرّة التي تُعرف اليوم باسم "ضلع الخَلص" وهو جُبيل أسود صغير يقع جنوب عكاظ مع ميل قليلا نحو الشّرق، وعلّق عزّام على ذلك بأنّه رأى هذه الحرّة التي تسمّى "حرّة الخلص" في شرق عكاظ لا في جنوبه معتمدا رواية عزاها ابن بلهيد إلى عُرام بن الأصبغ السّلمي.[1]

وتقوم هذه السّوق في ذي القعدة، وللعلماء خلاف في تعيين أيّامها من هذا الشّهر، فالمرزوقي يجعلها تبدأ من نصفه حتّى آخره، وآخرون يجعلون وقتها في شوّال، إلّا أنّ الأكثرين على أنّها تبدأ من أوّل ذي القعدة وتستمرّ حتّى العشرين منه، إذ تبدأ سوق مجنّة فيرتحل إليها النّاس وهي أقرب من مكّة، فإذا أهل ذو الحجّة انقشع النّاس من مجنّة إلى ذي المجاز قرب عرفة وبقوا فيها حتّى يوم التّروية فيبدأ الحجّ.

فعكاظ تحفل بالنّاس في شوّال ويتمّ تقاطرهم إليها في ذي القعدة الزّمن الرّسمي للسّوق، وحين تذهب جماعاتهم إلى مجنّة في العشرين من ذي القعدة يتخلّف كثير ممّن لم يكن أنهى بيعه وشراءه فلا يتمّ خلوّ السّوق تماما إلّا في غرّة ذي الحجّة عند اقتراب الحجّ.[2]

فنرى أنّ عكاظا كان حافلا حيث دُرس من قبل العلماء والنّقّاد واللّغويين وكان كلّ هذا الاختلاف حول الموقع فمنه من نسبه حول قول، ومنه إلى مكان، ومنه إلى ما حوله، وحتّى حول قيامه، وهنا تظهر أهمّيته وتأثيره.

[1] ينظر: عرفان محمّد حيمور، المرجع السابق، ص:22.

[2] ينظر: سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، ص:249-250.

المبحث الثاني: أثر سوق عكاظ على الشّعر ونقد الشّعر

أوّلا: الشّعر:

يُعدّ الشّعر من الفنون الجميلة التي يسمّيها العرب الآداب الرّفيعة، وهو يصوّرها بالخيال ويعبّر عن إعجابنا بها وارتياحنا إليها بالألفاظ.[1] والشّعر هو الكلام الموزون المقفّى المعبّر عن الأخيلة البديعة والصّور المؤثّرة البليغة. وقد يكون نثرا كما قد يكون نظما. وهو أيضا أقدم الآثار الأدبية عهدا لعلاقته بالشّعور وصلته بالطّبع، وعدم احتياجه إلى رقيٍّ في العقل، أو تعمّق في العلم، أو تقدّم في المدنية، ولكنّ أوليّته عند العرب مجهولة، فلم يقع في سماع بالتّاريخ إلّا وهم محكم مقصّد.[2]

والشّعر كما قيل هو ديوان العرب قديما وهو دلالة على الحياة العقلية فهم:" يعنون بذلك سجلّ حياتهم سُجِّلت فيه أخلاقهم وعاداتهم، وديانتهم، وعقليتهم، وإن شئت فقل: إنّهم سجّلوا فيه أنفسهم، وقديما انتفع الأدباء بشعر العرب في الجاهلية، وقال عمر بن الخطّاب: كان للجاهلية علم لم يكن لهم علم سواه".[3]

وقد خلّد لنا الشّعر الكثير من الأحداث في سوق عكاظ والأسواق الأخرى، فكان الكثير من الشّعراء يأتون هذه الأسواق، وكان من أهمّ الشّعراء الوافدين على الأسواق وخاصّة سوق عكاظ "النّابغة الذّبياني" لمكانته فيها، فهو أحد أبرز شعراء الجاهلية اسمه:" زياد معاوية بن ضباب بن يربوع بن غيظ بن مرّة بن عوف بن أسعد بن ذبيان بن بغيض بن ريت بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ويكنّى بأبي أمامة، وأمّه عاتكة بنت أنيس الأشجعي".[4]

---

[1] ينظر: جرجي زيدان، تاريخ أدب اللّغة العربية، دار الفكر، القاهرة، د.ت، د.ط، ج1، ص:52.

[2] ينظر: أحمد حسن الزّيّات، المرجع السابق، ص:25.

[3] أحمد أمين، فجر الإسلام، ط10، ص:57.

[4] يوسف عطا الطّريفي، شعراء العرب في العصر الجاهلي، دار الأهلية، 2006، ط6، عمان، ص:147.

وقيل أنّه لقّب بالنّابغة لأنّه:" قرض الشّعر وهو في شرخ الشّباب، وربّما لُقّب بذلك لأنّه نبغ في ذلك مبلغ الفحول من شعراء الجاهلية".[1]

وقد عدّه ابن سلّام الجمحي في:" الطّبقة الأولى وقرنه بامرئ القيس والأعشى وزهير"[2]، فكان الأقدمون يجتمعون على تقديم النّابغة الذّبياني وتصنيفه ضمن شعراء الطّبقة الأولى.

وقد خلّف النابغة الكثير من الشّعر وتُعدُّ معلّقته:" أبرز ما في ديوانه، وهي أطول قصائده وأجمعها لأغراض الشّعر وأوفاها بالتّعبير عن حياة الشّاعر، وفيه وهي قصيدة دالية وعلى بحر البسيط، وتقع في تسعة وأربعين بيتا"[3]، ومطلعه:

يا دارَ ميّة بالعلياء فالسند أَقْوَت وطال عليها سالف الأبد[4]

فقد أجاد النّابغة الذّبياني في هذه المعلّقة في وصف ليل الخائف واعتذار الجاني، ومنح المنعم إجادة لا يتعلّق بها درك، إلّا أنّه كان يُقوي في شعره ويقول إنّ في شعري عاهة لا أريها، حتّى سمع مغنّيا يغني بأبيات من شعره فيها إقواء ففطن إلى ذلك ولم يعد إليه، وقد عرف شعراء العرب له تلك المكانة السّامية في الشّعر فقدّموه في عكاظ واحتكموا إليه في الخصومات الأدبية فكان يقضي بينهم موفَّق القضاء مُطاع الحكم.[5]

فالتزم النّابغة الوفاء في عكاظ وشهّر هذا الذي يريد أن يحمله على الغدر تشهيرا يدرك عاره كل من في عكاظ، فهذه قصيدة قالها النّابغة في سوق عكاظ يهجو فيها زرعة بن عمرو بن خويلد:

نبئت زرعة والسّفاهة كاسمها يُهدي إليّ غرائب الأشعار

---

[1] يوسف عطا الطّريفي، المرجع السابق، ص:148.

[2] أحمد بن الأمين الشّنقيطي، شرح المعلّقات العشر وأخبار شعرائها، دار الكتب العلمية، 2006، ط4، بيروت، ص:127.

[3] سامي يوسف أبو زيد، منذر ذيب كفافي، الأدب الجاهلي، دار الميسرة، 2011، ط1، عمان، ص:199.

[4] عمر فرّوخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، 1981، ط4، بيروت، ج1، ص:184.

[5] ينظر: أحمد حسن الزّيّات، المرجع السابق، ص:40.

فحلفت يا زرع بن عمرو إنّني رجل يشقّ على العدوّ ضراري

أرأيت يوم عكاظ حين لقيتني تحت العجاج فما شققت غُباري

أن اقتسمنا خطتينا بيننا فحملت برّة واحتملت فجار

فلتأتينّك قصائد وليدفعنّ جيش إليك قوادم الأكوار[1]

وعمرو بن كلثوم أيضا من أهمّ الشّعراء الوافدين عل سوق عكاظ، وقد عدّه ابن سلّام الجمحي في الطّبقة السّادسة فقال:" أربعة رهط لكلّ واحد منهم واحدة، أوّلهم عمرو بن كلثوم بن سعد بن زهير بن جثم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب، وله قصيدته التي أوّلها:" ألا هبّي بصحنك فأصبحينا"[2]، وهي التي اشتهر بها بين شعراء الجاهلية وقد قالوا إنّ هذه المعلّقة تزيد عن ألف بيت، وإنّما وصل إلينا بعضها وقد أنشد هذه القصيدة في الحماسة والفخر في سوق عكاظ، وكانت قبيلة تغلب تعظِّم هذه القصيدة وتحتفل لإنشادها ويفتخرون بها حتّى عيّرهم بعض في قوله:

ألهى بني تغلب عن كلّ مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم[3]

وقد اعتُبرت هذه القصيدة من جيّد شعر العرب القديم، وإحدى السّبع ويقول في ذلك ابن قتيبة:" عمرو بن كلثوم هو القائل: ألا هبّي بصحنك فأصبحينا، وقد كان بها خطيبا فيها كان بينه وبين عمرو بن هند وهي من جيّد الشّعر العربي القديم، وهي إحدى السّبع".[4]

وتبدو هذه المعلّقة ظاهرة جديدة تختلف عن غيرها من المعلّقات فهي لا تبدأ بذكر الدّمن والأطلال، ولا يذكر الأحبّة الذين رحلوا عنها، بل تبدأ بذكر الخمر ومباكرة شربها في الصّباح ووصفها، ووصف ما تفعل بشاربيها.

---

[1] سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص:130.

[2] ابن سلّام الجمحي، طبقات فحول الشّعراء، دار النّهضة العربية، د.ت، د.ط، بيروت، ص:35-36.

[3] عبلة سالم الشّرعة، ياسمين داود السمارات، المرجع السابق، ص:37.

[4] المرجع نفسه، ص:38.

والأعشى وهو أحد أعلام شعراء الجاهلية وفحولهم فتقدّم على سائرهم، وقد جعله ابن سلّام الجمحي في:" الطّبقة الأولى من الشّعراء بعد امرئ القيس والنّابغة الذّبياني وزهير بن أبي سُلمى"[1]، فقد جعل الرّواة الأعشى رابعا لإمرئ القيس وزهير والنّابغة وكانوا يقولون أنّ:" أشعر النّاس امرؤ القيس إذا ركب، وزهير إذا رغب، والنّابغة إذا رهب، والأعشى إذا طرب"، هذا وإن كان موضعا للخلاف يدلّ على مكانة الرّجل وفي الحقّ أنّك تجد في شعر الرّجل ما لا تجد في شعر غيره من رونق الحسن وطلاوة الأسلوب، والبراعة في وصف الخمر والإجادة مع الطّول، وكان لشعره جلبة في السّمع وروعة في النّفس وأثر في النّاس، فسمّي بذلك (صناجة العرب)، ولقد أعزّ بشعره وأذلّ، وقصّته مع المحلّق وفرق القرشيين من إسلامه يدلّ عل ذلك،[2] وقد طال عمر الأعشى حتّى ابيضّت عيناه من الكِبر،[3] ومن جيّد شعر الأعشى قصيدته اللّامية التي عدّها بعضهم من المعلّقات ومطلعها:

ودِّع هريرة إنّ الرّكب مرتحل وهل تطيقُ وداعا أيّها الرّجلُ

ومنها:

أبلغْ يزيدَ بني شيبان مألكة أيا ثُبيتَ أما تنفكُّ تأتكلُ

ألستَ منتهيا عن نحب أثلّتنا ولست ضائرها ما أطت الإبلُ[4]

فسوق عكاظ كانت تكتظّ بصورة لم تشهدها أيّ سوق في جزيرة العرب، وإلى ذلك يشير أبو ذؤيب الهذلي فيقول:

إذا بُني القباب على عكاظ وقام البيع واجتمع الألوف[5]

---

[1] ابن سلّام الجمحي، المرجع السابق، ص:15.

[2] ينظر: أحمد حسن الزّيّات، تاريخ الأدب العربي، ص:44.

[3] ينظر: المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[4] المرجع نفسه، ص:45.

[5] سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص:149.

ولقد كانت شهرة حصن المشقر مستفيضة على ألسنة الشّعراء العرب، وذكره شعراء كثيرون من بينهم أبو ذؤيب الهذلي فقد ذكره في مرثيته لبنيه قائلا:

حتّى كأنّي للحوادث مروة بصفا المصفّر كلّ يوم تقرعُ[1]

وقد اختصّت بصرى بنوع من البضاعة واشتهرت بها، وهي الخمر وقد ذكرها شعراء كثيرون من وأبو ذؤيب الهذلي ممّن ذكروا خمرتها قائلا:

سلافة راح ضمنتها إداوة مقيّرة ردف لمؤخرة الرّحل

تزوّدها من أهل البصرى وغزّة على جسرة مرفوعة الذّيل والكفل[2]

أذرعات فقد شبّهوها ببصرى لأنّ أمرها قريب منها، علائق العرب التّجارية بهما متشابهة وقد اشتهرت هي الأخرى بالخمر، قال أبو ذؤيب في ذلك:

فما إنّ رحيق سبتها التّجّار من أذرعات فؤادي جذر

وقال أيضا:

فما فضله من أذرعات هوت بها مُذَكَّرَة عنس كهادية الضّحل[3]

وذكر سوق مجنّة فقال:

فوافي بها عسفان ثمّ أتى بها (مجنّة) تصفوا في القلال ولا تغلي[4]

وقال يصف ذي المجاز:

وراح بها من ذي المجاز عشيّة يبادر أولى السّابقات إلى الحبل[5]

---

[1] سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص:107.

[2] المصدر نفسه، ص:162.

[3] الشعراء الهذليين، تح: أحمد الزين، محمود أبو الوفا، ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية، مصر، 1965.، ص:39.

[4] سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص:161.

[5] المرجع نفسه، ص:152.

وحسّان بن ثابت من أهمّ الشّعراء الوافدين على الأسواق، ومن روائع شعره ميميته التي يملؤها بمفاخرة قومه والتي يقول فيها:

لنا الجفناتُ الغرّ يلمعن بالضّحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

ولاميته التي يمدح بها الغساسنة بمثل قوله:

بيضُ الوجوه كريمة أحسابهم شمُّ الأنوف من الطّراز الأوّل[1]

وقد هجا أميّة بن خلف الخزاعي حسّان وأراد إيلامه فذهبا إلى عكاظ فقال:

ألا من مُبلِّغ حسّان عنّي مغلغلة تدبُّ إلى عكاظِ

أليت أبوك فينا كان قينا لدى القينات فسلا في الجفاظِ

يمانيا يظلّ يشدُّ كيرا وينفخ دائما لهب الشّواظِ

فيجيبه حسّان:

أتاني عن أميّةَ زُورُ قولٍ وما هو بالمغيب بذي حِفاظِ

سأنشر ما حييتُ لهم كلاما يُنشر في المجامع من عكاظِ[2]

وقد حالف أبو الأزيهر الدّوسي وكان عظيم الشّأن في الأزد أبا سفيان بن حرب عظيم بني أميّة، وكان بين أبي الأزيهر هذا والوليد بن المغيرة محاكمة في مصاهرة، فإنّ أبا الأزيهر لقاعدٌ في مقعد أبي سفيان بسوق ذي المجاز إذ جاء هشام بن الوليد فضرب عنقه في مقعده ذاك بذي المجاز وانتظر النّاس أن يأخذ أبو سفيان بثأر حليفه من هشام فلم يفعل ولم يدرك به عقلا ولا قودا من بني المغيرة، وتحدّث بذلك أهل السّوق من قبائل العرب وراجت في النّاس حتّى عَيَّروا بها أبا سفيان وحتّى قال حسّان بن ثابت فيها:

[1] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي –العصر الجاهلي-، ج2، ص:81.

[2] سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص:149.

غدا أهل حضني ذي المجاز بسحره وجار ابن حرب لا يروح ولا يغدو

كساك هشام بن الوليد ثيابه فأبلِ وأخلق مثلها حددا بعد[1]

والخنساء من بين الشّاعرات اللّواتي اشتهرن بسوق عكاظ في الرّثاء، أدركت الخنساء الجاهلية الأخيرة وعاشت شطرا من عمرها في الإسلام، غير أنّها:" شاعرة جاهلية بامتياز فلم يؤثر عنها قول شعر بعد إسلامها"[2]، كما أنّ شاعريتها قد برزت بعد:" فقدِها لأخويها معاوية وصخر، وجلُّ شعرها في رثائهما وهو يفيض بالمعتقدات الجاهلية، ويترسّم كثيرا من التّقاليد الفنّية التي أرساها الشّعراء الجاهليون قبلها، ولعلّ الخنساء أوّل الشّعراء العرب الذين خصّوا شاعريتهم بفنٍّ واحد من فنون الشّعر، ولهذا اهتمّت بها المدوّنة النّقدية العربية وبرز الاهتمام عندما احتكمت إلى النّابغة الذّبياني في سوق عكاظ وكاد يحكم لها لولا الأعشى أنشده قبلها".[3]

وهي من شواعر العرب المعترف لهنّ بالتّقدّم فقد أجمع الشّعراء ورواة الشّعر القدماء على أنّه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها في الرّثاء، فقد عدّها:" ابن سلّام الجمحي في المرتبة الثّانية من شعراء المراثي المتقدّمين من الجاهليين والإسلاميين، وقدّم عليها متمم بن نويرة غير أنّه حصر مجالها الفنّي في الرّثاء وحده".[4]

وعلى هذا جرى المؤلّفون والنّقّاد من بعد ابن سلّام الجمحي فقد:" جعل البحتري الباب الأخير من حماسته لمختارات من شعر الرّثاء، فقصره على مختار أشعار لجماعة من النّساء في المراثي، وجاء

[1] سعيد الأفغاني، المرجع السابق، ص:153.

[2] خالد الجبر، رزان إبراهيم، شعرية الفقد، جدل الحياة والموت في شعر الخنساء، دار جرير 1433هـ، 2012م، ط1، عمان، ص:15.

[3] المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[4] المرجع نفسه، ص:19.

بقصائد ومقطوعات لعشر راثيات منها: أربعة للخنساء، ولعلّ هذا له علاقة قويّة بقبول المرأة الرّاثية في المجتمع العربي آنذاك، بل إنّ بعضهم من ربط شعر النّساء بندب النّساء للموتى".[1]

وقد حدّثنا الرّواة أنّ الخنساء كانت:" تخرج إلى عكاظ فتندب صخرا ومعاوية، وكانت هند بنت عتبة أمّ معاوية تحكيها نائحة أباها، وقام بالقسط الأكبر من ندب الميّت وبكائه النّساء فكنّ يكشفن عن جيوبهن عليه ويلطمن وجوههنّ، ويقرعن صدورهنّ، وتعقدن عليه مأتما من العويل والبكاء، وسابقتهنّ التي لا تُنازَع هي الخنساء، فقد قُتل أخوها معاوية في أحد المعارك، وقُتل أخوها صخر فاتّسع الجرح والتَاعَت لوعة شديدة".[2]

والخنساء كذلك نجدها:" تؤمّ سوق عكاظ تعلن فيه مصيبتها في أبيها عمر بن الشّريد وأخويها صخر ومعاوية وتنشد في ذلك القصائد"[3]، فانحدرت هذه الشّاعرة العظيمة إلى السّوق لتسجّل فيها رسميا أنّها أعظم العرب مصيبة، فلا أحد أصيب بما أصيبت، فكانت تنزل كلّ عام إلى عكاظ فالتفّت الأنظار إليها، وعندما كانت وقعة بدر قُتل فيها عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، فكانت هند بنت عتبة ترثيهم وتبكيهم في المواسم، وقالت:" أنا أعظم من الخنساء مصيبة"، فكان أمر هند والخنساء في عكاظ من أغرب ما يروى في باب التّنافس، واعتناء النّاس بمصائبهم وتخليدها في آدابهم ومحافلهم الموسمية، ولعلّ هذا مشهد آخر من مشاهد سوق عكاظ.

وفي الأخير نصل إلى أنّ شاعرية الخنساء قد تفجّرت بعد مقتل أخيها صخر، وقد كانت:" لها من الشّاعرية قبل مقتل صخر ما مكّنها من امتلاك ناصية الشّعر، ومن ذلك أنّها سئلت تهجو قيس بن

[1] المرجع نفسه، الصّفحة نفسها.

[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي –العصر الجاهلي-، ج1، ص:207.

[3] عبد الرحمن، عبد الحميد علي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، دار الكتاب الحديث، 2008، ط2، القاهرة، ص:132.

الخطيم شاعر الأوس"[1]، وما كانت لتسأل مثل هذا لو لم يكن القوم يعرفون قدرتها الشّعرية لتهاجي شاعرا كابن الخطيم.

ثانيا: نقد الشّعر:

يلعب النّقد دورا كبيرا في نجاح العمل الأدبي وارتفاع شأنه وذيوعه بين النّاس، وهو الأساس الذي يركّز عليه العمل الأدبي فيُبرز الجيّد من الرّديء، فهو يقوم على فهم وصحّة التّقدير، ويمكن تعريفه بأنّه: بيان قيمة النّصِّ الأدبي ودرجته الفنّية.[2] فهو الكشف عن جوانب النّضج الفنّي في النّتاج الأدبي وتمييزها عمّا سواها عن طريق الشّرح والتّعليل، ثمّ يأتي بعد ذلك الحكم العام عليها.

وقد مرّ النّقد بعدّة مراحل كانت أوّلها في الأسواق العربية، حيث بدأ بالنّقد البسيط الذي يصدر بطريقة عفوية وشفوية دون قوانين أو ضوابط معيّنة، فكان وراء ظهوره عوامل كثيرة أهّمها: خروج العرب من جزيرتهم واتّصالهم بالأمم الأخرى المجاورة بدافع التّجارة، وقد كان لهذا العامل أثره الكبير في ظهور النّقد الأدبي وازدهاره، ورغم أنّ بداياته في هذه البيئة كانت بسيطة وساذجة إلّا أنّه قد ساعد في تطوير شعرهم ممّا يقدّم من ملاحظات، حيث كان النّاس معجبين بالشّعر، يستمعون إلى قصائد الشّعراء ويشيرون إلى مواطن القوّة ومواطن الضّعف فيفضّلون شاعرا على آخر.

لم يظهر الشّعر الجاهلي ناضجا، بل مرّ بمرحل كثيرة قبل وصوله إلى هذه الدّرجة من الإتقان، وكذلك الشّأن بالنّسبة للنّقد، فقد خطا هو الآخر خطوات كثيرة، ومن مظاهره ما كان يجري في الأسواق التي كان يجتمع فيها النّاس من جميع قبائل الجزيرة العربية وبالتّالي:" كثرت المجالس الأدبية التي يتذاكرون فيها الشّعر، فأخذ بعضهم ينقد على بعض، وهذه الأحاديث والأحكام وهذه المآخذ هي نواة النّقد العربي الأولى، ومن ذلك ما نجده في عكاظ عند النّابغة الذّبياني، وفي يثرب حين دخلها النّابغة فأسمعوه

[1] أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج3، ص:10.

[2] ينظر: أحمد الشّايب، الأسلوبية، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، ص:13.

غناء ما كان في شعره من إقواء، وفي مكّة حين أثنت قريش على علقمة الفحل، ومن ذلك ما يُعزى إلى طرفة من أنّه عاب على الملتمس نعته البعير بنعوت النّياق، وما أخذه النّاس عل المهلهل بن ربيعة من أنّه كان يبالغ في القول ويتكثّر"[1]، فقد كان يستمع الحضور إلى ما قاله الشّاعر ومن ثمّ يعقبه نقاش وأحكام حول ما أورده الشّاعر من معانٍ تليق بشعره، فهذه النّماذج هي أولى الصّور النّقدية التي وصلتنا من الشّعر الجاهلي، أمّا قبلها فهو غير معروف ولم يصل إلينا منه شيء يذكر.

ومن أهمّ المشاهد النّقدية التي وصلتنا من العصر الجاهلي ما كان يجري في سوق عكاظ المشهورة التي كانت سوقا تجارية ومناسَبة يلتقي فيها الشّعراء، وكانت في آن واحد بيئة للنّقد الأدبي يتنافس فيها الشّعراء ويعرضون ما جادت به قرائحهم من أشعار، وممّا ذاع في كتب الأدب أنّ الشّاعر النّابغة الذّبياني كانت تُضرب له قبّة حمراء من جلد في ناحية من نواحي السّوق فيأتيه الشّعراء ليعرضوا عليه أشعارهم. وممّا يُروى في ذلك أنّ أوّل من أنشده هو الأعشى ثمّ حسّان بن ثابت، ثمّ أنشده شعراء آخرون، ثمّ أنشدته الخنساء بنت عمر بن الشّريد قصيدتها المشهورة التي تقول فيها ترثي صخرا:

وإنّ صخرا لتأتمُّ الهداةُ به كأنّه علم في رأسه نار

فقال:" لولا أنّ أبا بصير؛ يعني: الأعشى أنشدني آنفا لقلت إنّك أشعر الجنّ والإنس".[2] فالأعشى إذن هو أشعر الذين أنشدوا النّابغة، والخنساء تليه منزلة وجودة في الشّعر.

وقد عاب العرب كذلك على النّابغة الذّبياني وبشر بن أبي حازم الإقواء الذي في شعرهما؛ أي اختلاف حركة الرّوي في القصيدة، "ولم يستطع أحد أن يصارح النّابغة بهذا حتّى دخل يثرب مرّة فأسمعوه غناء قوله:

[1] طه أحمد إبراهيم، تاريخ النّقد الأدبي عند العرب في العصر الجاهلي حتّى القرن الرّابع الهجري، المكتبة الفيصلية، 1425هـ-2004م، د.ط، مكّة المكرّمة، السعودية، ص:25.

[2] أحمد بن الأمين الشّنقيطي، شرح المعلّقات العشر وأخبار شعرائها، ص:131.

أمِن آلِ ميّة رائح أو مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزوّدِ

زعم البوارج أنّ رحلتنا غدا وبذلك حدّثنا الغراب الأسودُ

ففطن لذلك ولم يعد إليه"[1]، فقد جاءت هذه القصيدة مختلفة أبياتها في حركة الرّوي ممّا يؤدّي إلى خلل موسيقي، ففطن النّابغة ولم يعد إلى ذلك في شعره، " فذمُّ الإقواء يُعتبر نقدا في الجاهلية لأنّه يعيب أمرا لعلّه من آثار طفولة الشّعر، نقد لأنّه ضعف في الصّياغة وتقافر في النّغم، يؤذي السّمع ويذهب بشيء غير يسير من روعة الوزن، نقد لأنّ وحدة حركة الرّوي في القصيدة ادّعت إلى أن يكون الشّعر منسجما سائغا"[2]، وهذا دليل على أنّ العربي لم يهتد مرّة واحدة إلى وحدة حركة الرّوي.

وقد ذكر أنّ العرب كانت تعرض أشعارها على قريش فما قبلوه كان مقبولا وما ردّوه كان مردودا، فقدم عليهم علقمة بن عبدة التّميمي، فأنشد قصيدته المشهورة:

"هل ما علمت وما استودعت مكتوم؟

فقالوا: هذا سِمط الدّهر ثمّ عاد إليهم العام المقبل فأنشدهم قصيدته:

طحا بك قلبٌ في الحِسان طروب بُعيد الشّباب عصر حان مشيبُ

فقالوا: هاتان سمطا الدّهر"[3]، والسِّمط هو القلادة وما عنوه أنّه رائع وسيبقى في التّاريخ، ويدلّ هذا على عناية العرب في العصر الجاهلي بأمر الفصاحة.

ونلاحظ من خلال الشّواهد أنّ النّقد الجاهلي كان يُعنى تارة بملاحظة الصّياغة؛ أي الشّكل، وتارة أخرى بملاحظة المعاني من حيث الصّحة والخطأ، ومن حيث الانسجام اللّائق للسّليقة العربية، فقد ذُمّ الإقواء في شعر النّابغة لأنّه أخلّ بالانسجام وسلامة الوزن وحسن الصّياغة لأنّ الشّعر عند الجاهليين هو حسن الصّياغة، وحسن الفكرة والمعنى، وهو نظم محكم ومعنى مقبول، فهذه هي أهمّ المجالات التي

[1] طه أحمد إبراهيم، المرجع السابق، ص:26.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

دار حولها النّقد في العصر الجاهلي التي تحكم على الشّعر من حيث الشّكل تارة، ومن حيث المعنى تارة أخرى.

وملَكة النّقد عند الجاهليين هي:" الذّوق الفنّي فقط، فأمّا الفكر وما ينبعث عنه من التّحليل والاستنباط فذلك الشّيء غير موجود عندهم، وبعيد كلّ البعد عن الرّوح الجاهلي، وعن طبيعة العصر الجاهلي"[1]، وأمّا الذّهاب في البحث مثلا في طريقة نظم الشّاعر، أو فحص مذهبه أو البحث في صلة شعره بالحياة الاجتماعية فذلك عندهم كان مازال غائبا لم يلتفت النّقّاد إليه إذ كان الكلام يؤخذ بعيدا عن كلّ المؤثّرات الخارجية.

فحركة الرّوي في شعر النّابغة يجب أن تكون واحدة وذلك بطرح الإقواء، والشّعراء يجب أن يصنّفوا وفقا لقدراتهم ممّا يدلّ على أنّ للنّاقد الجاهلي قيما يسعى إلى تحقيقها، حيث يقرّر الأحكام تارة في مجال الصّياغة وتارة في مجال المعاني، غير أنّ النّقد في الجاهلية قائم في العموم على الإحساس بأثر الشّعر في نفس النّاقد، والحكم عليه مرتبط بذلك الإحساس لا غير، وما يضيفه بعض الرّواة إلى قصّة النّابغة مع حسّان من ذلك الحكم وأن:" يُظنَّ أنّ النابغة جاملَ الخنساء حين حكم على قوله:

لنا الجفناتُ الغرّ يلمعن بالضّحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

فقال له: إنّك شاعر ولكنّك أقللت جفانك وأسيافك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك، يعني أنّ الجفنات الأدنى عددا والكثير جفان، وقلّة الضّحى، ولو قلت: بالدّجى لكان أبلغ لأنّ الضّيق في اللّيل أكثر لانصباب الدّم"[2]، فعاب عليه النّابغة بأنّه افتخر ولم يحسن الافتخار، لأنّه أورد كلمات غيرها أقرب وأوسع مفهوما، فعيب على حسّان أن يفتخر فلا يحسن الافتخار وأن لا يؤلّف بيتة من كلمات أضخم معنى منها، وأوسع مفهوما، فقد ترك الجفان والبيض والإشراق والجريان، واستعمل الجفنات والغرّ واللّمعان والقطر وهي دون سابقاتها فخرا، وهو نقد سديد لأنّ النّابغة الذّبياني تناول

[1] طه أحمد إبراهيم، المرجع السابق، ص:32.

[2] أحمد بن الأمين الشّنقيطي، شرح المعلّقات العشر وأخبار شعرائها، ص: 113.

مسألتين: الأولى مادّية والثّانية معنوية. فأمّا المسألة اللّفظية فإنّ حسّان لم يجمع الجفنات والأسياف جمعا يدلّ على الكثرة، والعرب تستحبّ المبالغة فيمثّل هذا الموقف حين يفخر الشّاعر بالكرم والشّجاعة في قبيلته، أمّا المسألة المعنوية ففخره بمن ولدتهم نساؤهم والعرب لا تفتخر بالأبناء وإنّما تفتخر بالآباء، فالبيت فيه نقد للشّاعر وقدراته على إدراك اللّفظة الصّحيحة في مكانها الصّحيح، وتؤدّي المعنى بشكل صحيح وأقوى، فحكم النّابغة على حسّان بأنّه أخطا في البيت وختم حكمه بقول مخاطبا حسّان قائلا له:" يا ابن أخي أنت لا تتمنى أن تقول:

فإنّك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت المنتأى عنك واسع

فخنس حسّان لقوله".[1]

فنلاحظ أنّ النّقد الأدبي في العصر الجاهلي كان موجودا، وقد كان يعُنى تارة بملاحظة الصّياغة وتارة أخرى بملاحظة المعاني من حيث الصّحة والخطأ، ومن حيث الانسجام للسّليقة العربية فقد ذُمَّ الإقواء في شعر النّابغة، وحكم على بيت حسّان بالخطأ لفظيا ومعنويا. كما نلاحظ أيضا أنّ الأسواق العربية آنذاك أدّت دورا كبيرا في تطوّر النّقد الأدبي، وهذا النّقد كان يعتمد على الاستحسان والإعجاب بقوّة الألفاظ والمعاني الظّاهرة، ومدى تأثّر النّفس بها دون أن يكون هناك منهج محدّد يُتبع في النّقد، وعلى هذا النّحو فقد كان النّقد الجاهلي يتشعّب في اتّجاهات مختلفة وهي في مجموعها ترجع إلى أحكام جزئية تتعلّق في غير موضعها أو في بيت شذَّ عن غيره من أبيات القصيدة، وكلّها يحسّها الجاهلي بذوقه الفطري وسليقته وإحساسه الدّاخلي النّابع من ذاته، وهذا ما يلخّصه حمّاد الرّاوية في قوله:" إنّ العرب كانت تعرض شعرها على قريش فما قبلوه منها كان مقبولا وما ردّوه منها كان مردودا"[2]، وبذلك كان للأسواق العربية وخاصّة سوق عكاظ خلال الفترة الأخيرة من العصر الجاهلي الدّور الكبير في نشأة النّقد الأدبي وتطوّره.

[1] أبو الفرج الأصفهاني، المرجع السابق، ص:163.

[2] طه أحمد إبراهيم، المرجع السابق، ص:26.

خاتمة

خاتمة:

وبعد هذه الرحلة والوقوف على أهم ما جاء موضوع هذه المذكرة الموسومة ب "أثر الأسواق العربية في ازدهار الشعر – سوق عكاظ أنموذجا-" نختم هذه الدراسة بأهم ما تمخض من نتائج وملاحظات ندرجها كالآتي:

1. الأسواق ملتقيات الشعراء والأدباء و التجار.
2. تعدد الأسواق واختلاف مواقيتها.
3. الأسواق تمتاز بالأنشطة الأدبية وليست نشاط تجاري فقط.
4. كانت الأسواق من أهم العوامل التي ساعدت في تطور النقد.
5. كان قيامها مقرونا بالأشهر الحرم فاستلزم ذلك وجود الأمن.
6. يعتبر عكاظ أكبر الأسواق وأرقاها
7. كان لعكاظ حكام أدبيون عرفوا بنقدهم، أشهرهم النابغة الذبياني.
8. ساهمت هذه الأسواق في توحيد اللهجات وتهذيبها أبرزها سوق عكاظ
9. كان مسرحا حافلا لعديد من الفنون الشعرية كالخطابة والقصائد وغيرها، ففيه علقت السبع الشهيرات.

لعل هذه أهم النتائج التي توصلنا إليها في بحثنا هذا وفي الأخير نرجو أن تكون هذه الدراسة فاتحة لبحوث أخرى تعمق موضوع الأسواق العربية والنثرية ولعلنا فيما بذلنا من الجهد قد أصبنا ما نصبو إليه من النجاح.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

***القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

الكتب:

1. أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، لبنان، 1969، ط10، بيروت.
2. أحمد بن أبي يعقوب بن وهب ابن واضح اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، ج1، يروت، لبنان،1379هـ.
3. أحمد بن الأمين الشّنقيطي، شرح المعلّقات العشر وأخبار شعرائها، دار الكتب العلمية، 2006، ط4، بيروت.
4. أحمد الحوفي، فنُّ الخَطابة، نقلا عن: ، عبد الرّحمن عبد الحميد تاريخ الأدب في العصر الجاهلي.
5. أحمد حسن الزّيّات، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، 2004، ط8، بيروت، لبنان.
6. أحمد حسين العيثاوي، دراسات في أدب العرب قبل الإسلام، دار دجلة، عمان، الأردن، ط1،.2011
7. أحمد الشّايب، الأسلوبية، دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النّهضة المصرية، 1956م، ط5، القاهرة.
8. الأزرقي، تاريخ مكّة، تح: رشدي ملحس، مكة المكرمة، السعودية، د/ط.
9. البكري، معجم ما استعجم، تح: عبد الستار فراج، القاهرة، مصر،1364هـ.
10. الحموي الرّومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر، د.ت، د.ط، بيروت، مج4.
11. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج1، تحقيق عبد الله درويش دار صادر، د.ت، د.ط، بغداد، العراق، 1364هـ.
12. الرّومي البغدادي، معجم البلدان، الحموي دار صادر، د.ت، د.ط، بيروت، مج1.

13. الزّمخشري، دار أساس البلاغة، الكتب العلمية، د.ت، د.ط، بيروت، لبنان، ج1.

14. العاني حقّي إسماعيل إبراهيم، أسواق العرب التّجارية في شبه الجزيرة العربية قُبيل وفي صدر الإسلام، جامعة بغداد، 1990، د.ت، كلّية الآداب.

15. الفيومي، المصباح المنير، القاهرة، ج2، 1302هـ.

16. القزويني، آثار البلاد وأخبار لعباد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1380هـ.

17. ابن حبيب، المحبّر، تح: إيلزه ليختن شتيتر، حيدر أباد، 1942.

18. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المكتبة السّلفية، د.ت، د.ط.

19. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، بيروت، لبنان، ج2 ، 1967.

20. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السّلام محمّد هارون دار العلوم سابقا، دار الفكر للطّباعة والنّشر، د.ت، د.ط، ج3.

21. ابن سلّام الجمحي، طبقات فحول الشّعراء، دار النّهضة العربية، د.ت، د.ط، بيروت.

22. ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، د.ت، د.ط، بيروت.

23. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تح: لجنة من الأدباء، دار الثّقافة، 1983م، ط1 بيروت، ج15.

24. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزّمخشري، أساس البلاغة، تح: محمّد باسم عيون السّود، دار الكتب العلمية، د.ت، د.ط، بيروت، لبنان، ج1.

25. أبو عبد الرّحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السّامرائي، د.ت، د.ط، ج5.

26. أبو عثمان عمرو بن الجاحظ، البيان والتّبيين، دار الفكر، د.ت، ط4، لبنان، بيروت.

27. أبو علي أحمد بن محمّد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، الأزمنة والأمكنة، دار الكتب العلمية، د.ت، د.ط، بيروت، لبنان.

28. الشعراء الهذليين، تح: أحمد الزين، محمود أبو الوفا، ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية مصر، 1965.

29. الهمذاني الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تح: محمّد بن الأكوع الحوالي دار اليمامة، 1985م، د.ط، الرّياض، السعودية.

30. جرجي زيدان، تاريخ أدب اللّغة العربية، دار الفكر، القاهرة، د.ت، د.ط، ج1.

31. جُرجي زيدان، تاريخ التّمدّن الإسلامي، مؤسّسة هنداوي، القاهرة، مصر، د.ت، د.ط ج3.

32. جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بغداد، 1993م، د.ط، ج1.

33. حسن معمري، مكّة وعلاقتها التّجارية مع شمال وجنوب شبه الجزيرة العربية خلال القرنين 5 و6 ميلادي، جامعة الجزائر، 2006/2005، ط1، ص:59.

34. حسني عبد الجليل يوسف، الأدب الجاهلي قضايا وفنون ونصوص، مؤسّسة المختار الثّانية، 2003م، ط1،القاهرة.

35. حنّا الفاخوري، تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ج1، ص:313-314. نقلا عن: الموجز في الأدب العربي وتاريخه، ج1.

36. خالد الجبر، رزان إبراهيم، شعرية الفقد، جدل الحياة والموت في شعر الخنساء، دار جرير 1433هـ، 2012م، ط1، عمان.

37. سامي يوسف أبو زيد، منذر ذيب كفافي، الأدب الجاهلي، دار الميسرة، 2011، ط1 عمان، الأردن.

38. سحاب فكتور، عنقاء الجزيرة العربية، سوق عكاظ، دار المحترف السّعودي، د.ت، ط1.

39. سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، مكتبة دار العروبة للنّشر والتّوزيع 1999م، ط4، الكويت.

40. سليمان عبد الغني مالكي، بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتّى سقوط الخلافة العبّاسية في بغداد، جامعة القاهرة، مصر، 1981، ط1.

41. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي –العصر الجاهلي-، دار المعارف، 2003، ط24 مصر، القاهرة، ج1.

42. شيرين عبد السّلام، الموسوعة العربية الشّاملة، 03فبراير2021، ما أهمّية أسواق العرب القديمة وأنواعها (أشهر الأسواق العربية القديمة).

43. صالح أحمد العلي، كتاب البلدان، مجلّة الآداب، 1970.

44. صبح الأعشى، القلقشندي، دار الكتب العلمية، د.ت، د.ط، لبنان، مج1.

45. صبري فالح الحمدي، أشراف الحجاز في القرن الثّامن عشر، مؤسّسة المختار للنّشر والتّوزيع، 2009، ط1.

46. طه أحمد إبراهيم، تاريخ النّقد الأدبي عند العرب في العصر الجاهلي حتّى القرن الرّابع الهجري، المكتبة الفيصلية، 1425هـ-2004م، د.ط، مكّة المكرّمة، السعودية.

47. عبد الرحمن، عبد الحميد علي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، دار الكتاب الحديث 2008، ط2، القاهرة.

48. عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، القاهرة، 1992م، د.ط.

49. عبد الله الصّائغ، الخطاب الإبداعي الجاهلي والصّورة الفنّية (القدامة وتحليل النّص)، المركز الثّقافي العربي، 1997م، بيروت، ط1.

50. عبدالقادر البغدادي، خزانة الأدب، تح: تيمور باشا، ج4.

51. عبلة سالم الشّرعة، ياسمين داود السمارات، مدخل إلى الشّعر العربي القديم، دار الفكر ط1، 2013.

52. عرفان محمّد حيمور، سوق عكاظ ومواسم الحجّ، مؤسّسة الرّحاب الحديثة، د.ت، ط1 بيروت، لبنان.

53. عمر فرّوخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، 1981، ط4، بيروت، ج1.
54. كارل بروكلمان، تاريخ الشّعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2005.
55. محمّد بن حبيب البغدادي، المنمّق في أخبار قريش، عالم الكتب، 1985م، ط1، بيروت.
56. محمّد شكري الألوسي البغدادي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شر: محمّد بهجة الأثري، د.ت، ط1، ج1.
57. محمود عرفة محمود، العرب قبل الإسلام، عين للدّراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية 1995م، ط1.
58. مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر الجاهلي، الدّار الدّولية للاستثمارات الثّقافية القاهرة، د.ت، د.ط.
59. مصطفى صادق الرّافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، 1421هـ، 2000م ط1،بيروت، لبنان.
60. مهران محمّد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، د.ت، د.ط الاسكندرية.
61. مؤنس حسن، أطلس تاريخ الإسلام، الزّهراء للإعلام العربي، مطابع تيناواء، 1987م ط1، سنغافورة، القاهرة.
62. ناصر بن سعد الرّشيد، سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام، تاريخه نشاطه وموقعه، دار الأنصار، 1997م، 1397هـ، ط1، القاهرة.
63. يوسف عطا الطّريفي، شعراء العرب في العصر الجاهلي، دار الأهلية، 2006، ط6 عمان، الأردن.

المواقع الالكترونية:

1. article, https://ammonnews.net

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر و تقدير	
مقدمة	أ
مدخل	2
الفصل الأول: الأسواق العربية نشأتها أنواعها وأثرها	
المبحث الأوّل: مفهوم الأسواق العربية وعوامل نشأتها	09
أولا: مفهوم الأسواق العربية	11
ثانيا: عوامل نشأة الأسواق العربية	13
المبحث الثاني: أنواع الأسواق العربية وأثرها على الفنون الأدبية	21
أولا: أنواع الأسواق العربية	21
ثانيا: أثر الأسواق الأدبية في الفنون الأدبية	28
الفصل الثّاني: دراسة سوق عكاظ	
المبحث الأوّل: تاريخية سوق عكاظ	38
أولا: اشتقاق سوق عكاظ	38
ثانيا: عكاظ سوق أدبي ومحفل للشّعراء	39
ثالثا: موقع سوق عكاظ	43
المبحث الثاني: أثر سوق عكاظ على الشّعر ونقد الشّعر:	48
أوّلا: الشّعر	48
ثانيا: نقد الشّعر	56
خاتمة	62
قائمة المصادر و المراجع	64
فهرس الموضوعات	70
ملخص	

ملخص:

عُرف العصر الجاهلي بالشعر و الأدب، فكان العربي آنذاك شاعرا و خطيبا أو فصيحا، و في هذا المجال أنشأوا أسواقا لعرض سلعهم كما هي عرض لإبداعاتهم الفنية من شعر يخطب، فكانت هذه الأسواق موسمية على مدار السنة وكانت تقام في مواسم الحج حيث توفر لهم الأمان مما يسهل عليهم عملية الحضور إلى السواق، ومن ابرز و أهم و أشهر هذه الأسواق سوق عكاظ فما أكسبه هذه الأهمية هو موقعه الجغرافي بالإضافة إلى أبرز ما كان يلقى فيه من روائع الشعر و النقد والخطابة، فكان هذا السوق أكبر نموذج للغة و الفصاحة و أصول الكلام و صحيح الألفاظ و أدقها فكان لكل لفظة مفهومها الحقيقي، فهو سوق أدبي هذب اللغة بامتياز.

الكلمات المفتاحية: الأسواق العربية، السوق، عكاظ، الشعر

Abstract:

The pre-Islamic era was known for poetry and literature, so the Arab at that time was a poet, orator or eloquent, and in this field they established markets to display their goods as it is a display of their artistic creations of poetry sermons. These markets were seasonal throughout the year and were held during the Hajj seasons where they provided them with safety from what It is easy for them to attend the market, and one of the most prominent, important and most famous of these markets is the Okaz market. What made it so important is its geographical location, in addition to the most prominent of the masterpieces of poetry, criticism and rhetoric, so this market was the largest model for language, eloquence, and the principles of speech The words are true and accurate, and each word has its true meaning, as it is a literary market that refines the language par excellence.

key words: Arab markets, market, Okaz, poetry